الفصل السادس

أزمة مارس ١٩٥٤

ضاق محمد نجيب ذرعاً بعبد الناصر ومؤيديه من مجلس قيادة الثورة بعدما نفَّذوا بكل دقة استراتيجية عزله سياسيّاً وإعلاميّاً واستأثروا بالسلطة الفعلية ولم يبقوا له إلا السلطة الاسمية وأصبح كل ما يفعلونه محسوب عليه بحكم أنه رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس الجمهورية .

أسباب استقالة محمد نجيب

ويذكر لنا عبد اللطيف البغدادي الموقف الذي قدَّم فيه محمد نجيب استقالته أو القشة التي قصمت ظهر البعير : " بدأت الأزمة عندما أحس محمد نجيب أن عبد الناصر يتعمَّد الظهور في مختلف وسائل الإعلام على أنه الرجل الأول في الثورة ، وكان لعبد الناصر عدة طرق في ذلك الوقت منها أن يدعو مجلس الثورة للانعقاد بدون أن يخطر محمد نجيب الذي يفاجأ في صباح اليوم التالي بقراءة قرارات اتخذها المجلس برئاسة عبد الناصر. وفي يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٤ بدأت الأزمة.

كنا مجتمعين وكان من المقرر أن يعقد اجتماع لمجلس الثورة، وعلم محمد نجيب بذلك فحضر إلى مكتبه في مقر القيادة بكوبري القبة ، وكنا جالسين في غرفة عبد الناصر نبحث في أمر محمد نجيب بعد أن أصبح مشكلة ، وأثناء جلوسنا حضر إلى الغرفة إسماعيل فريد وقال لنا : سيادة اللواء فوق مستنيكم .

فشتمه جمال سالم هو واللواء فخرج مهرولاً، وبعد قليل دقَّ جرس التليفون وكان المتحدث محمد نجيب وردَّ على التليفون حسين الشافعي، وسأله نجيب أن نصعد لعقد الاجتماع في مكتبه فردَّ عليه حسين الشافعي قائلاً : لسَّه عددنا ما اكتملش . وبعد ربع ساعة سمعنا " البروجي " ينطلق معلناً خروج محمد نجيب، وكان الصحفيون في الخارج في انتظار اجتماع مجلس الثورة، وأوقعنا نجيب بذلك في مأزق، إذا اجتمعنا بدونه وبعد انصرافه ستنطلق الإشاعات، وإذا لم نجتمع بعد الإعلان عن الاجتماع

ستنطلق أيضاً الإشاعات، وأثناء جلوسنا لبحث الأمر حضر إسماعيل فريد يحمل لنا مظروفاً وقدمه لجمال عبد الناصر قائلاً : استقالة سيادة اللواء .

وجلسنا نبحث في المشكلة كل منَّا يقترح والوحيد الذي لا يتكلَّم عبد الناصر، كانت استقالة نجيب وإعلانها قد تؤدي إلى ثورة داخل البلد نتيجة حب الناس المتزايد له ، وعدم قبولها هو رضوخ لنا لتصرفاته، ورأى البعض إقالته وإعلان ذلك للناس وأسبابه، ورأى البعض أن يترك رئاسة الوزراء لجمال عبد الناصر، ووافقنا على هذا الرأي بالأغلبية واعترض اثنان فقط هما : جمال سالم ، وحسين الشافعي .

وتركنا عبد الناصر نتناقش ثم قال بصوته الهادئ : النهارده إيه ؟

وأجبنا كلنا : ٢٣ فبراير (١٩٥٤) .

فقال بنفس الصوت الهادئ : يوم ٢٣ مارس مش حيبقى فيه نجيب .

وسألناه : إزاي .

فأجاب بهدوء : نخلص منه .

ووجدت نفسي أبكي وأصرخ : إزاي واحد مننا نخلص منه ؟!

وأجاب عبد الناصر لأنه أشد إجراماً على الثورة من أعدائها، إنه خان مبادئها .

وتساءل جمال سالم : لو اكتشف في المستقبل أن المجلس رسم خطة التخلص من نجيب إيه حيكون مصير الثورة ؟!! من سيثق في مبادئها ؟!!

قال صلاح سالم : مش ممكن أوافق على كده إن إبعاد محمد نجيب معناه أن الاتحاد مع السودان يضيع إلى الأبد؛ فالسودانيون ينظرون إلى نجيب على أنه واحد منهم .

وقلت وأنا لا أزال أبكي : إن هناك احتمالاً ولو واحداً في المليون تتكشف الحقيقة وعندها ستنتهي الثورة وتنهار كل مبادئها .

واقترح عبد الجليل العمري أن يبقى نجيب رمزاً للثورة على أن يبقى الحكم لغيره، واقتنعنا بهذا الرأي وتركنا إلى عبد الناصر طريقة تحقيقه . " [1]

وعن أسباب الاستقالة يقول نجيب : " في ١٥ يناير ١٩٥٤ بعد عام من حل الأحزاب تقريباً صدر قرار حل الإخوان المسلمين بأغلبية الأصوات ، وفي نفس اليوم

([1]) سامي جوهر " الصامتون يتكلمون " مرجع سابق ص ١٨ ، ١٩ .

اعتقل ٤٥٠ عضواً من الإخوان .. وأحسست أن موقفي أصبح في غاية الحرج . ، هل أنا موافق على كل هذا ؟ هل أنا رافضه وغير مقتنع به ؟

أين أنا من كل هذا بالضبط ؟

ولم أجد مفرّاً من أن أقدم استقالتي !

قدمت استقالتي في ٢٢ فبراير ١٩٥٤ لكن قبل هذه الاستقالة جلست استعرض كل ما حدث لنا في خلال الفترة من قيام الثورة إلى الآن، السلبيات، والإيجابيات، ما كسبناه، وما خسرناه، وما كسبته البلد وما خسرته، لم أستطع أن أحدد بدقة نتيجة كشف الحساب، فقد طرنا الملك، لكن جئنا بالضباط إلى الحكم، حققنا العدالة الاجتماعية لكن ظهرت المحسوبية، واصلنا مشوار النضال لتحرير مصر، لكن قضينا على الديمقراطية، كنت مخلصاً ولكن زملائي يدفعون كل شيء نحو الاستجابة لشهواتهم الخاصة والعامة ونحو الديكتاتورية العسكرية أيضاً ، كنت أول رئيس لمصر لكني رفضت أن أوصم بأكثر مما وقع، وانتهيت إلى الاستقالة .

وقبل هذه الاستقالة واجهت أعضاء المجلس بمنتهى الصراحة والشجاعة، واجهتهم بالأموال العامة التي سحبوها بلا مبرر وبعثروها بلا حساب، وطلبوا المزيد منها .

واجهتهم باستغلالهم لنفوذهم ، وواجهتهم بكل فضائحهم وعيوبهم .

حتى أن جمال سالم سألني : لماذا أنت غاضب علينا إلى هذا الحد ؟

فقلت له : سأذكر لك أنت وأسرتك واقعة واحدة تجعلني غاضباً، واقعة شقيقك الذي طبع اسمه على بطاقة وكتب تحتها : " شقيق جمال سالم وصلاح سالم" ليسهل بها أموره ويكسب من ورائها الكثير .

وسألني آخر : هل هذا فقط ما يغضبك ؟

فقلت : إذا كان هذا لا يكفي فأنا غاضب من الأموال السرية التي تنفقونها على أغراضكم الشخصية وأنا غاضب على دولة المخابرات التي تكونونها الآن بإشراف بعض ضباط المخابرات المركزية، وبعض الضباط الألمان الذين كانوا في الجستابو النازي .

إذا كان للقيادة الجماعية بعض المزايا فإن عيوبها أكثر، وأخطر هذه العيوب أن يظهر شخص مثل جمال عبد الناصر ينجح في تحريك المجموعة من تحت المنضدة لتصوت حسب أهدافه وأغراضه، كما حدث .

إن عبد الناصر الذي كنت أحترمه، كان شاباً صغيراً ذو قدرات متميزة، وقد اقترحت عليه أن أدير وأقود البلاد لعدة سنوات إلى أن يكتسب الخبرة اللازمة التي تمكنه من أن يخلفني في الرئاسة ، وأكدت له في ذلك الوقت أنني سأكون سعيداً أن أستقيل من أجله ولصالحه، وخيرته في ذلك، أو أن أستقيل حالاً حتى لو أدى الأمر إلى خلق أزمة داخلية لأنني لم أعد أتحمل، أو تسامح عن الأخطاء التي يرتكبها أعضاء المجلس .

ولم يختر عبد الناصر !

قلت له : من الأفضل أن تقود المسيرة من الآن بدوني !

لم يكن لي سلطة تعيين أو فصل الوزراء بدون موافقة المجلس ، ومع ذلك كنت مضطراً لمساندة الوزراء سواء كنت موافقاً عليهم أم لا !

وكنت مضطراً للتصديق على قرارات أركان حرب الجيش حتى التي صدرت دون استشارتي ، أو أخذ رأيي فيها .

وأنا لم أطلب سلطات مطلقة لي ولكني ببساطة كنت أطلب الحد الأدنى الضروري لممارسة مهامي ، وكنت مستعدّاً لمناقشة المجلس في أي قرار أتخذه .

لقد كان عبد الناصر بحماس الشباب يعتقد أنه من الممكن أن يحول كل معتقدات الشعب المصري إلى الطريق الذي اخترناه نحن الضباط لتحقيق أهدافنا ، ولم يكن ليستطيع أن يحول أهدافنا إلى طريق الشعب المصري . لكنني بخبرة وحكمة الكبار كنت أعتقد أن أفكاره خاطئة وأننا في حاجة إلى مساندة شعبية حقيقية، وإن من الممكن تأجيل بعض الأهداف أو التضحية بها حتى لا نفقد ثقة الشعب فينا.

كنت باختصار أعتقد أن نصف رغيف أفضل من لا شيء .

لكن عبد الناصر كان يعتقد أنه يجب أن يأخذ الرغيف كله .

وقد طال بي العمر حتى رأيت أن اعتقاده كان خاطئاً وأن الإنجازات الضخمة التي أقامها لم يكن لها أي أساس ، وكان من السهل هدمها والتضحية بها في أيام [١]

بيان إقالة محمد نجيب

قرر عبد الناصر ورفاقه قبول استقالة محمد نجيب وصاغوا بياناً أعلنوا فيه استقالة محمد نجيب وقد حاولوا في هذا البيان تشويه صورة محمد نجيب أمام الناس وعن هذا

---

(1) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ٢١٩- ٢٢٧ بتصرف .

البيان يقول محمد نجيب : " وفي ٢٥ فبراير [١٩٥٤] أصدر مجلس قيادة الثورة بيان إقالتي : وجاء فيه : أنني طلبت سلطات أكبر من سلطات أعضاء المجلس ، وأن المجلس رفض ذلك لأنه خروج على نظامه المتبع منذ سنوات وهو أن أعضاء المجلس متساوون بما فيهم الرئيس .

وقال البيان : " بالرغم من أن اللواء نجيب عُيِّن رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزراء، ورئيساً لمجلس القيادة ، فقد أصر اللواء نجيب على طلب سلطات أوسع وأكبر من المجلس نفسه، ولكننا رفضنا ذلك لكي نوزع السلطات توزيعاً عادلاً بين أعضاء المجلس .. وانتهى البيان إلى إعلان القرارات التي اتخذها المجلس بالإجماع وهي:

أولاً : قبول الاستقالة المقدمة من اللواء أ . ح محمد نجيب من جميع الوظائف التي شغلها .

ثانياً : يستمر مجلس القيادة بقيادة البكباشي أ . ح جمال عبد الناصر في تولي كافة سلطاته الحالية إلى أن تحقق الثورة أهم أهدافها وهو إجلاء المستعمر عن أرض الوطن .

ثالثاً : يعين البكباشي أ . ح جمال عبد الناصر رئيساً لمجلس الوزراء .

وقال : إن الثورة مستمرة وستستمر حريصة على مثلها مهما أحاطت بها عقبات وصعاب والله الكفيل برعايتها فإنه نعم المولى ونعم النصير " .

وحاول البيان الإساءة إلى شخصي والتقليل من دوري في الثورة ، والتأكيد على أنني اخترت قائداً للثورة على الرغم من أنني كنت بعيداً عن صفوفهم ، وأنني اخترت لهذه المهمة قبل قيام الثورة بشهرين ، وكان سر اختيارهم لي " سمعتي الحسنة الطيبة " وأنني علمت بقيام الثورة في ليلة الثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عن طريق مكالمة تليفونية من وزير الداخلية ، فتحركت إلى مبنى قيادة الأركان، وأن جمال وافق على ضمي إليهم وتنازل لي عن رئاسته للمجلس . [١]

ليلة القبض على محمد نجيب واعتقاله

ولم يكتف عبد الناصر ورفاقه بقبول استقالة نجيب ولا بتشويهه أمام الرأي العام بل أمروا بالقبض عليه واعتقاله وإهانته !

([1]) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ٢٢٨، ٢٢٩ بتصرف .

يقول نجيب : " في فجر السبت ٢٧ فبراير قمت من نومي على صوت نقر شباك غرفة نومي ، فطلبت من الطارق أن يحضر من الباب الأمامي، كانوا ثمانية ضباط شبان من سلاح الفرسان على رأسهم الصاغ خالد محيي الدين، وانتحى بي خالد جانباً وقال لي : إن المجلس قرر تعييني رئيساً للوزراء ، وطلب مني أن أعود لمنصبي كرئيس للجمهورية !

وقال لي : لو قبلت فإن أعضاء المجلس الآخرين سوف يصوتون لصالحنا ، وعلمت منه : أنهم عقدوا في سلاح الفرسان اجتماعاً عاصفاً حضره جمال عبد الناصر، اعترضوا فيه على استقالتي، وأصرُّوا على عودة الديمقراطية فاقترح عليهم جمال سالم أن يُعْقَد اجتماع عاجل لمجلس قيادة الثورة يعرض عليه اقتراحاً بعودتي لرئاسة الجمهورية وتعيين خالد رئيساً للوزراء، وهذا حدث فعلاً .

فقلت له : سوف أدرس الموضوع بشرط أن يتعاون معي كل الزملاء كما كانوا من قبل وتركني خالد ورفاقه ليعودوا إلى المجلس . ولو سارت الأمور كما قال خالد لي ، فإنه سيذاع بيان بعودتي وبشروطي في السابعة مساءً، وعندئذ سوف يحضر وفد لمرافقتي إلى القصر الجمهوري لكن ما كاد خالد يخرج، وما كدت أعود لنومي ، حتى فوجئت بضيف آخر كان هذا الضيف هو اليوزباشي كمال رفعت ومعه اليوزباشي داود عويس، وقد طلبا مني أن أرتدي ملابسي لأخرج معهما .

وسألتهما : لماذا ، قال كمال رفعت : قرار مجلس الثورة أُلْغِي !

فقلت : لكن خالد قال لي ... فلم يسمعاني وأصرَّا على موقفهما ورفضا السماح لي بالاتصال التليفوني، وكنت ساعتها تحت تهديد السلاح . [١]

صراع على السلطة أم انقلاب على السلطة ؟

بعض المؤرخين ورجال الثورة يصورون تخطيط عبد الناصر لانتزاع السلطة من محمد نجيب والاستئثار بها صراعاً على السلطة .

والحقيقة ليست كذلك فلم يكن محمد نجيب يصارع عبد الناصر أو غيره على السلطة لسبب بسيط جداً وهو أن محمد نجيب كان فعلاً ممسكاً بالسلطة فهو كما يعترف خالد محيي الدين " رئيس مجلس الثورة المالك لسلطة السيادة، ورئيس الوزراء

([1]) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ٢٣٣ .

الممسك بزمام السلطة التنفيذية، وهو كذلك، القائد العام للقوات المسلحة، صاحبة الثقل الأساسي في السلطة " [١] وهو إلى جانب هذا وذاك الشخصية المعروفة ذات التاريخ المجيد، والمحبوبة من جميع طوائف الشعب والجيش؛ فقد كان من أعظم أبطال حرب فلسطين وأصيب فيها مرتين وحصل على أعلى الأوسمة، كما أنه هو الذي عارض الملك وهزم مرشحه في انتخابات نادي الضباط، وهو الذي قبل الملك فاروق أن يتنازل له عن الحكم، وهو الذي كسب ثقة الشعب والجيش والأحزاب فضلاً على ثقة الإنجليز والأمريكان كما سبق ذكر ذلك . كما أن جميع منجزات الثورة ارتبطت باسمه فهو القائد العام للقوات المسلحة وقائد الحركة، ورئيس لجنة القيادة، ثم رئيس مجلس قيادة الثورة، ورئيس الوزراء .

فهل من يملك كل هذه الإنجازات والمناصب يصارع على السلطة ؟ كيف وهو صاحبها الشرعي في البلاد، إنما الذي حدث هو محاولة جمال عبد الناصر انتزاع السلطة منه . والفرق كبير بين هذا وذاك .

الأمر الثاني : أن جمال عبد الناصر نفسه كان معترفاً بأحقية نجيب بالقيادة والحكم ووصل الأمر إلى حد أن جمال عبد الناصر وقف يخطب في أبناء قريته بني مر ، وكان هو ومحمد نجيب في زيارة لها ، فقال : " باسم بناء هذا الإقليم أرحب بك من كل قلبي وأعلن باسم الفلاحين أننا آمنا بك فقد حررتنا من الفزع والخوف ، وآمنا بك مُصْلحاً لمصر ونذيراً لأعدائها . سيدي القائد ، باسم الفلاحين أقول سر ونحن معك جنودك فقد حفظنا أول درس لقنتنا إياه وهو أن تحرير مصر وخروج قوات الاحتلال عن بلادنا أمر واجب وأصبحت أملاً في أن تحقق لمصر حريتها على يدك . إن مصر كلها تناصرك للقضاء على قوات الاحتلال." [٢]

الأمر الثالث : إن السبل التي سلكها عبد الناصر لانتزاع السلطة من نجيب كانت كلها سبل غير شريفة ، وأقل ما توصف بها أنها سبل تآمريَّة كما سبق ذكره .

الأمر الرابع : أن نجيب لم يجار عبد الناصر في وسائله التآمرية وكل ما عمله هو اللجوء إلى الشعب كما قال خالد محيي الدين " فأكثر من جولاته الجماهيرية، وتحدث إليها بلهجة خالية من الترفع، ظهر، أمام الناس، حاكماً بسيطاً له مشاعر أبوية. وحاول أن يكون نسخة معدلة ومحسنة من مصطفى النحاس، وقد أكسبه ذلك

---

(1) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٢٢٥ .

(2) كلمة البكباشى جمال عبد الناصر فى بلدته – بنى مر – أثناء استقبال اللواء محمد نجيب رئيس الوزراء ٢٤ / ٣ / ١٩٥٣.

جماهيرية واسعة " [١] ولم يكن نجيب يخدع الشعب فقد كانت هذه هي طبيعته التي شهد له بها الأعداء قبل الأصدقاء، ولم يكن في اتصاله بالجماهير ما يعيب فهو صاحب السلطة الشرعية في البلاد، كما أنه لم يكن الوحيد الذي يتصل بالجماهير فقد كان يصحبه في كل جولاته بعض الأعضاء من مجلس القيادة .

يقول أحمد حمروش: " كانت رحلة النوبة بداية اللقاء الفكري بين محمد نجيب وخالد محيي الدين، ولكنه لقاء لم يتجاوز الحدود الفكرية إلى آفاق تنظيمية، فالاثنان معاً كانا ضد فكرة تكرار الانقلابات العسكرية، وكانا حريصين حرصاً شديداً على عودة الجيش إلى طبيعته، وتحاشي الانفجارات والصدمات الدموية . " [٢]

الأمر الخامس : هو إقدام محمد نجيب على تقديم استقالته إلى مجلس قيادة الثورة عندما رأى إصرار عبد الناصر على المضي في سبيل انتزاع السلطة منه .

وبمناسبة الاستقالة نذكر إن محمد نجيب أثبت إنه لم يكن يناور وهو يتقدم باستقالته إنما كان مخلصاً في ترك الحكم لعبد الناصر للأسباب الآتية :

١- إن محمد نجيب قد تقدم بالاستقالة إلى مجلس قيادة الثورة، وترك لهم كيفية الإعلان عنها، ولو كان يناور كما يناور غيره لخرج على الناس آسفاً حزيناً وعرض عليهم ما فعله عبد الناصر وجماعته لينتزعوا السلطة منه، ثم يعلن بحركة دراماتيكية أنه يتقدم باستقالته للشعب حفاظاً على أمن الوطن من حرب أهلية .

٢- لو كان نجيب متمسكاً بالسلطة لاتفق مع العناصر المؤيدة له، وهي كثيرة ، على الخروج فور إعلانه الاستقالة للتظاهر وإثارة الجماهير للمناداة بعودته .

٣- لو كان محمد نجيب متمسكاً بالسلطة لاختار بديلاً عنه شخصيةً غير محبوبة ولقال مثلاً : إني أستقيل من رئاسة الجمهورية، ورئاسة مجلس قيادة الثورة ومن رئاسة مجلس الوزراء لصالح أخي وزميلي صلاح سالم، وبهذا يضمن رفض الاستقالة من مجلس قيادة الثورة قبل الشعب .

٤- لو كان محمد نجيب متمسكاً بالسلطة لأعلن برنامجه الإصلاحي في الخطبة التي يقدم في نهايتها باستقالته، ليوحي للناس بأنه الوحيد القادر على الإصلاح .

---

(1) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٢٢٦ .
(2) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه " ج١ مرجع سابق ص ٣٢٧ .

٥- لو كان محمد نجيب متمسكاً بالسلطة لذكر أن الإنجليز والأمريكان يعتبرانه عدوهم الأول في مصر، لذا سيستقيل ليعطي الفرصة لشخصية مقربة منهما للتفاهم معهما .

لو أن محمد نجيب يناور باستقالته لكان عنده وسائل كثيرة وكثيرة جداً يمكنه استخدامها للإيحاء للناس بالتمسك به ورفض استقالته، لكن محمد نجيب لم يلجأ لأي من هذه الوسائل التي يلجأ إليها غيره، بل قدم الاستقالة إلى مجلس قيادة الثورة دون الإعلان عنها وترك لهم فرصة إعلان هذه الاستقالة بالوسيلة التي يرونها وذهب لينام في بيته، والحق إن مجلس قيادة الثورة قد استغلَّ هذه الاستقالة أحسن استغلال، فأعلن قبولها لأن محمد نجيب كان يريد مزيداً من السلطات، وأن محمد نجيب لم يكن أصلاً من الضباط الأحرار، وأنه لم يعرف بهذا التنظيم إلا قبل الثورة بشهرين فقط، وأنه لم يكن يعلم بميعاد قيام الثورة حتى اتصلوا به بعد نجاحها ليستدعوه لتولى قيادتها ! وغير هذا من الأكاذيب التي سبق دحضها .

يقول أحمد حمروش وهو الذي لا يُشكُّ في حبه لعبد الناصر وانتمائه للتيار الناصري : " لم يكن محمد نجيب خصماً عنيداً، فهو رغم صراحته وشجاعته وبسالته في حرب فلسطين كان لين الجانب في معاملته مع زملائه، ينظر إليهم كأبنائه أو إخوته الصغار، لا يسلك أسلوبهم في محاولة تجميع الضباط وتنظيمهم معتمداً على سحر شخصيته وجماهيريته في الجيش وخارجه .

ولكن هذا لموقف المتهاون من جانب محمد نجيب قد دفع إلى تمادي أعضاء المجلس في مهاجمته والإساءة إليه بالشائعات . وتبدلت الحال تماماً فبعد أن كان عبد الناصر يُرحِّب به في بلدته بني مر أثناء زيارته لها في مارس ١٩٥٣ قائلاً : " باسم أبناء هذا الإقليم أرحب بك من كل قلبي وأعلن باسم جميع الفلاحين أننا آمنا بك فقد حررتنا من الفزع والخوف ، وآمنا بك مصلحاً لمصر ونذيراً لأعدائها " وعبد الحكيم عامر بقوله في قريته أسطال : " ها هي بلدي يبايعك وهاهم أولاد رجاله أمامك أقوياء أشداء يعاهدونك على السير معك واثقين بك ومؤمنين "

وبعد أن قال صلاح سالم في المحلة الكبرى يوم ٢٢ يونيو ١٩٥٣: " البعض يقول أنه كان يجب انتخاب رئيس الجمهورية انتخاباً شعبيّاً واعتقد وكلكم تعتقدون أن محمد نجيب قد نجح في أكثر من انتخابات ولقد سار في كل ركن من أركان هذه الدولة والتف حوله ملايين من البشر " .

هذه أمثلة محدودة مما قاله أعضاء المجلس عن محمد نجيب ، ولكن الأمور بينهم تدهورت بسرعة إلى درجة التفكير في اغتياله ، وإحراجه باتخاذ القرارات في غيابه ، والإساءة إليه بين حين وآخر .

ولم يكن محمد نجيب وحده قادراً على مواجهة هذه الموجة العنيفة من الكراهية التي تثور ضده وتحاصره فهو بطبيعته كان مفتوحاً على الجميع ، لا يدبر شيئاً في الخفاء ويرفض الانزلاق إلى المؤامرات .

وكان حظه سيئاً مع زملائه في المجلس، كلما تحدث مع واحد منهم بصدر مفتوح أسرع بنقل حديثه إلى جمال عبد الناصر فأظهره بمظهر العداوة والتربص" [١]

عودة نجيب للحكم تحت ضغط الجماهير

وما إن قدم محمد نجيب استقالته وعاد إلى منزله حتى فوجئ بأن تلفونه بدون حرارة . وظهرت الجرائد في صباح ٢٥ فبراير تحمل هذه المانشتات :

قبول استقالة محمد نجيب من جميع الوظائف التي يشغلها، وتعيين جمال عبد الناصر رئيساً للوزراء .

وتوهم مجلس قيادة الثورة أن الفرصة قد حانت للتخلص من آخر عقبة أمامهم للسيطرة الكاملة على مقاليد الحكم، وبذل صلاح سالم وزير الإرشاد غاية جهده في تلفيق التهم لمحمد نجيب، ونسي عبد الناصر وأتباعه في سكرة الفرحة أن الناس منذ اندلاع الثورة لا تعرف إلا محمد نجيب بطل حرب ٤٨ ورئيس نادي الضباط وزعيم الثورة الذي خلصهم من الملك والملكية فاندلعت ثورة عارمة في كل من مصر والسودان تطالب بعودة محمد نجيب وبالحكم بالسجن على عبد الناصر وصلاح سالم . وبدأ ما عرف في التاريخ بأزمة مارس .

يقول كرم شلبي في كتابه الذي ألفه عن أزمة مارس : " ولعل بداية هذه الأحداث كانت يوم قدم اللواء محمد نجيب استقالته إحساساً منه بأن وجوده في السلطة قد أصبح وجوداً صوريّاً وليس له شأن بما يتخذ من قرارات ولا علم له بما يدور في اجتماعات مجلس قيادة الثورة لذلك قدم استقالته يوم ٢٣ فبراير ١٩٥٤ وأعلن مجلس قيادة الثورة بالإجماع قبول هذه الاستقالة وأصدر بياناً شديد العنف ضد نجيب يحوي

---

(١) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه " ج١ مرجع سابق ص ٣٢٨ .

عدداً من الحقائق التي كانت جديدة تماماً "إن محمد نجيب كان بعيداً عن صفوف مجموعة الضباط الأحرار " وأنه " أخطر باختياره قائداً للثورة قبل قيامها بشهرين فقط " وأنه بعد ستة شهور من قيام الثورة بدأ يطلب بين وقت وآخر من المجلس منحه سلطات تفوق سلطة العضو العادي بالمجلس وأنه إجمالاً طالب بسلطة فردية مطلقة ". [١]

والناس الذين أحبوا نجيب وربطوه بالثورة وخروج الملك لم يقنعوا بهذا الكلام، كذلك القوى السياسية في مصر كانت ترى في نجيب أنه يمثل الرئيس السياسي الديمقراطي الذي عارض قرار حل جماعة الأخوان، وقرار حل الأحزاب فهو في نظرهم " الرجل المؤمن بالديمقراطية وأنه لا ملجأ في البلاد إلا نجيب وأن أعضاء المجلس هم السفاحون الغلاظ ويمثلون الغطرسة والبطش ." [٢]

وبعض رجال الثورة المؤيدين للديمقراطية مثل : خالد محيي الدين " يقف ومن ورائه سلاح الفرسان معترضاً على قبول الاستقالة، وبعض الوحدات العسكرية في الجيش والتي كانت ترى في محمد نجيب واجهة ديمقراطية خرجوا من أجلها ليلة ٢٣ يوليو كانت هي الأخرى ترفض قبول الاستقالة وكان لابد أن يتفجر الموقف .

امتلأت الشوارع بالمظاهرات، ونشطت جماعة الأخوان في قيادتها لهذه المظاهرات وكذلك نشطت القوى السياسية المصرية في التعبير عن وجودها وراحت تختبر نفسها كقوة سياسية لازالت قادرة على العمل .

تحرَّك الإخوان والوفديون وأعضاء الحزب الاشتراكي وأحزاب الأقلية المتعاطفون مع الصورة التي جسدتها الدعاية لمحمد نجيب سقط ثلاثة عشر قتيلاً من المدنيين وسقط عدد آخر من الجنود ورغم ذلك واصلت المظاهرات سيرها إلى ميدان عابدين وهي تهتف بالحرية وسقوط الديكتاتورية، وتنادي بحياة نجيب والسجن لجمال وصلاح . " [٣]

يقول أحمد طعيمة أحد المسئولين عن هيئة التحرير : " كان الموقف خطيراً للغاية وقد استدعى ذلك عدم مغادرتنا مكاتبنا أنا والطحاوي لعدة أيام إذ كانت المظاهرات

([1]) كرم شلبي " عشرون يوما هزت مصر دراسة ووثائق في أزمة مارس " دار أسامة للطباعة والنشر ص ٨.

([2]) نفسه ص ٩.

([3]) نفسه ص ١٠.

تعج بشوارع القاهرة وميدان عابدين منادية بسقوط جمال عبد الناصر وصلاح سالم لدرجة أن صلاح سالم نام في دواسة السيارة وهو في طريقه للقاء عبد الناصر خوفاً من بطش الجماهير . " [١]

ويؤكد حمروش هذا فيقول " كانت المظاهرات تزداد انتشاراً في شوارع القاهرة وتهتف (لا ثورة بلا نجيب .. إلى السجن يا جمال .. إلى السجن يا صلاح)" [٢]

لم تقتصر المظاهرات على مصر فقط بل امتدت إلى السودان أيضاً فقد عمت المظاهرات شوارع الخرطوم وبعض مدن السودان تهتف" لا وحدة بدون نجيب " وكان محمد نجيب قد أصبح رمزاً للوحدة عند السودانيين فمدة خدمته الطويلة هناك، ودفن والده وخاله الضابطين بالجيش في السودان وعلاقته الوثيقة ومعرفته بكثير من الزعماء والبسطاء هناك جعلت منه شخصية شعبية محبوبة في السودان كما في مصر . [٣]

درس في أسباب استبداد الحاكم

أفقدت المظاهرات العارمة صواب أعضاء مجلس قيادة الثورة " وكانت الاستجابة التي تمت بطريقة عفوية وتلقائية أن توجه صلاح سالم بصفته وزيراً للإرشاد إلى دار الإذاعة ودون أخذ رأي أحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة وأذاع في السادسة مساء يوم ٢٧ فبراير بياناً بأن المجلس قرر دعوة اللواء محمد نجيب للعودة إلى رئاسة الجمهورية البرلمانية وفي اليوم التالي نشرت الصحف نص البيان ونص رسالة بعث بها محمد نجيب إلى مجلس الثورة يقول فيها " حرصاً على حفظ وحدة الأمة في الظروف الحاضرة وبناءً على دعوة مجلس قيادة الثورة قبلت رئاسة الجمهورية البرلمانية المصرية . " [٤]

أرأيتم كيف أحبط الشعب المصري مخطط عبد الناصر للاستبداد بالحكم وأجبره على العودة إلى المسار الديمقراطي ؟

هل صدقتم أن سكوت الناس على الحاكم الظالم يطغيه، وأنه ما كان الطاغية ليطغى إلا بسكوت شعبه عليه ؟

---

(1) أحمد طعيمه " شهادة حق " حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ص ٧٩ .
(2) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " ج١ مرجع سابق ص٣٤٠ .
(3) نفسه ص ٣٣٩.
(4) كرم شلبي " عشرون يوما هزت مصر دراسة ووثائق في أزمة مارس " مرجع سابق ص ١١.

يقول المثل المصري الشعبي: "قالوا لفرعون إيش فرعنك قال ملقتش حد يلمنى".

لقد كان واضحاً أن القوى السياسية المصرية رغم التناقض بينها قد التفت في لحظات معينة وسار الإخوان مع الشيوعيين والوفد مع أحزاب الأقلية، والذين حاكمتهم الثورة إلى جانب الذين قامت الثورة من أجلهم، وتحرك الجميع في مسيرة واحدة ضد الثورة من أجل الحرية والديمقراطية . [١]

فرحة الناس بعودة محمد نجيب والديمقراطية

يقول نجيب عن مظاهر الاحتفال بعودته : " فوجئ الناس بعناوين الصحف تحمل نبأ عودتي فخرجت المظاهرات، وانهالت البرقيات على المجلس ودور الصحف ورئاسة الجمهورية . كما فرحت مصر فرح السودان أيضاً، فنحر الناس الذبائح، ووزعوا الفاكهة والشربات، وأرسلوا في أول يوم من الخرطوم إلى القاهرة ٢٠ ألف برقية تهنئة .

وفي الساعة التاسعة والنصف من صباح ٢٨ فبراير خاطبت الجماهير الغفيرة من قصر عابدين وحاولت التخفيف من حدة الأزمة، وطلبت منهم أن يحافظوا على الوحدة وأن يساعدوا إخوانهم أعضاء مجلس قيادة الثورة .

وفي ذلك اليوم خرجت مظاهرات ضخمة من جامعة القاهرة، قاصدة ميدان الجمهورية، وكان المتظاهرون يهتفون بحياتي، وحياة الديمقراطية، وردد بعضهم هتافات معادية ضد مجلس قيادة الثورة، فوقعت اشتباكات بينهم وبين رجال الأمن والبوليس بقيادة البكباشي أحمد أنور الذي كان شديد القسوة والعنف في التعامل مع المتظاهرين، وأطلق رجال الأمن النيران؛ فأصابت البعض، وقبضت على البعض الآخر، وكان من بينهم عدد من الإخوان الذين ازداد نشاطهم بعد حل جماعتهم .

لقد حوَّل أعضاء المجلس مظاهرات الفرح بعودتي إلى مآتم ، حتى أن البعض رفع قمصان الضحايا الملوثة بالدماء في وجهي وأنا أخطب في قصر عابدين بمناسبة عودتي، ورفع الإخوان عبد القادر عودة على أكتافهم أمامي .

ورغم إنني قلت ساعتها: إنني لم أقبل العدول عن الاستقالة إلا من أجل الحرية والديمقراطية وإجراء انتخابات برلمانية وتأليف جمعية تأسيسية تمثل هيئات الشعب،

([1]) نفسه ص١٢ .

ستجري الانتخابات التي تعيد الحياة النيابية للبلاد، إلا أن هتافات الاحتجاج على مجلس قيادة الثورة لم يتوقف، كانوا يصفونهم بالأعداء؛ فطلبت من عبد القادر عودة أن يصعد إلى الشرفة بجواري، وأكدت لهم أن النيابة ستحقق في الحوادث التي وقعت، وساعتها فقط هدأت الجماهير الغاضبة وانصرفت." [١]

كيف اتخذت قرارات ٥ مارس الديمقراطية ؟

كانت أحداث الأيام الأخيرة قد أصابت أعضاء مجلس الثورة بالفزع، محمد نجيب عاد منتصراً، ومظاهرات الجماهير الصاخبة المؤيدة له، ووقوف الجيش وراءه يعضض موقفه .

وشعر أعضاء مجلس الثورة أن الأمور بحاجة إلى نظرة تأني، وعقدت سلسة من الاجتماعات تقدم فيها بعض أعضاء مجلس الثورة بعدة اقتراحات لتقليص سلطة نجيب، وإعادة السلطة والهيمنة لمجلس الثورة أو لعبد الناصر .

ويلخص لنا خالد محيي الدين الاقتراحات التي جاءت في هذه الاجتماعات فيقول " اقترح جمال سالم بانسحاب مجلس الثورة على أن يقوم بقيادة مجموعة من الفدائيين قدَّرها بحوالي ٥٠٠٠ فدائي للبدء في كفاح مسلح واسع ضد قوات الاحتلال في القناة، وقال إن كفاحاً مسلحاً ضد الإنجليز كفيل بعودة الوحدة إلى الصفوف، وبإدانة كل من يخرج على هذه الوحدة .

إنه يريد أن يكسب الجماهير عبر نضال مسلح ضد الإنجليز أن يترك السلطة لنجيب على أن تساعده وزارة مدنية، وأن يستمر عبد الحكيم عامر قائداً للجيش. ووافق صلاح سالم وزكريا محيي الدين على الاقتراح .

ثم تقدم بغدادي باقتراح آخر : يبقى نجيب رئيساً للجمهورية، وينسحب أعضاء مجلس الثورة من الوزارات أي من السلطة التنفيذية، ويبقى للمجلس سلطة سيادية وحق المراقبة لضمان تحقيق أهداف الثورة دون أن يتدخل في أعمال السلطة التنفيذية إلا إذا وجد انحرافاً عن هذه الأهداف . ومع العمل على ضمان كسب تأييد واسع في صفوف الجيش من خلال القيام ببعض العمليات العسكرية ضد القوات البريطانية في القناة دون الدخول في تصادمات واسعة قبل الاستعداد الكافي .

([1]) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ٢٣٦- ٢٣٧.

وتكلَّم عبد الناصر وطالب بانسحاب مجلس الثورة، وأن يعمل كل عضو من أعضائه على تكوين فريق من عشرة أشخاص تكون مهمتهم التخلص من العناصر الرجعية، والإخوان المسلمين والشيوعيين، وأن يعلن عن قيام هيئة الاستشارية، وأن يستمر عامر قائداً للجيش .

ولم يتجاوب أحد من أعضاء المجلس مع هذا الاقتراح الغريب .

واستطالت المناقشة، صحيح أن هناك اتفاقاً شاملاً على ضرورة انسحاب مجلس الثورة، وترك السلطة التنفيذية لنجيب، ولكن الأمور لم تكن واضحة حول الخطوة التالية : ماذا بعد الانسحاب ؟

وفي هذه الأثناء هبطت الفكرة على صلاح سالم فسال بطريقته المباغتة لم لا تعلن عودة الحياة النيابية في أسرع وقت ؟ ووجد الجميع في هذا الاقتراح مخرجاً، والغريب أنهم أنفسهم رفضوا ذات الاقتراح عشرات المرات عندما كنتُ ألحُّ عليه في كل مرة، وعندما كنت أؤكد أنه المخرج الوحيد من هذه الصراعات، وأنه الضمان الوحيد لاستمرار الثورة، وارتباطها بالجماهير .

وأخيراً توصَّل المجلس إلى قرار بعودة الحياة النيابية، ومن ثمَّ بضرورة إنجاز الدستور سريعاً، وأيضاً بأن يكوِّن أعضاء مجلس الثورة حزباً لهم يخوض به الانتخابات المقبلة.

واتفقوا على أن يقوم عبد الناصر بزيارة السنهوري وعلي ماهر لبحث النواحي الدستورية في الأمر، ومواعيد الانتهاء من مشروع الدستور، ومن ثمَّ يمكن إعلان القرار متضمناً مواعيد محددة . [١]

وهكذا أجبرت المظاهرات أعضاء المجلس على السير في طريق الديمقراطية والتعجيل بإصدار الدستور وعودة الحياة النيابية . وبالفعل زار عبد الناصر وصلاح سالم والسنهوري محمد نجيب وعرضوا عليه الموضوع، وعاد جمال إلى أعضاء مجلس الثورة المجتمعين في بيته مصطحباً نجيب والسنهوري، وتحدَّث نجيب مؤكداً أنه نسي الإساءة إليه، وأنه على استعداد بأي تضحية في سبيل مصلحة الوطن .

ووفقاً للموعد الذي حدده علي ماهر لإنهاء عمل لجنة الدستور اتفق المجتمعون على إجراء انتخابات الجمعية التأسيسية في يونيو ١٩٥٤ . [١]

([1]) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٢٩٠- ٢٩٢ .

وأعْلِن على الشعب إعادة الحياة البرلمانية، وإطلاق الحريات، ورفع الرقابة على الصحف، وانتخاب جمعية تأسيسية تراجع الدستور، وعودة الحياة الديمقراطية الصحيحة، واستقالة رجال الجيش الذين سيعملون في الحقل السياسي من الجيش ليعملوا كمدنيين لا عسكريين وهذه ما عرفت بقرارات ٥ مارس التي تمثل أول خطوة نحو الديمقراطية .

وإليك نص البيان الذي أعلنه جمال عبد الناصر يوم ٥ مارس :

" قرر مجلس قيادة الثورة اتخاذ الإجراءات فوراً لعقد جمعية تأسيسية منتخبة بطريقة الاقتراع العام المباشر على أن تجتمع خلال يوليو ١٩٥٤ ويكون لها مهمتان:

١- مناقشة مشروع الدستور الجديد وإقراره .

٢- القيام بمهمة البرلمان إلى الوقت الذي يتم فيه عقد البرلمان الجديد وفقاً لأحكام الدستور الذي ستقره الجمعية التأسيسية .

وقرر المجلس أيضاً إلغاء الرقابة على الصحف، وإلغاء الأحكام العرفية قبل إجراء انتخابات الجمعية التأسيسية على أن يكون لمجلس الثورة سلطة السيادة لحين اجتماعها ، كما أن تنظيم الأحزاب سيكون متوقفاً على الدستور الجديد ." [٢]

كما صرَّح عبد الناصر بنيته في الإفراج عن المعتقلين . وبارك الشعب كله هذه القرارات ورحبوا بها أيما ترحيب .

وفي يوم ٨ مارس تمَّ الإفراج عن السياسيين الذين تمَّ اعتقالهم في الشهور السابقة بتهمة قلب نظام الحكم، وعدد من الضباط المعتقلين، وبعض الإخوان المسلمين.

يقول نجيب : " عادت البهجة إلى الشارع، وعادت الصحافة تزغرد بالحرية، وعاد بعض الكتاب إلى أقلامهم التي تركوها في ظل الرقابة، وكان منهم د. وحيد رأفت الذي سعدت عندما قرأت له في جريدة " المصري " في ٨ مارس مقالة قال فيها : " اليوم أعود إلى القلم لانفض عنه التراب، وإلى الفكر لأجلو عنه الصدأ، فالرقابة على الصحف لا تحطم الأقلام فحسب بل تقضي على ملكة التفكير، فلماذا الكاتب يجهد نفسه ويكدح المفكر ذهنه إذا كان ما تجود به قريحته لا ينقل إلى الجمهور أبداً ولا

([1]) نفسه ٢٩٢ .

([2]) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " ج١ مرجع سابق ٣٤٤ .

يصلهم إلا مبتوراً مشوَّهاً بفعل الرقيب . ويا ويل أمة لا يمارس كتابها إلا المدح والثناء ولا يسمح حكامها إلا بتلك النغمة المرذولة فالنقد السياسي كالنقد عامة ضرورة من ضرورات الحياة والتقدم ورمز على الحيوية ، فبغيره تفتر الهمم وتتقاعس النفوس ويخبو الذهن والإصلاح . " [١]

وأمر محمد نجيب بإخراج بعض من حكمت عليهم محكمة الثورة مثل : فؤاد سراج الدين وإبراهيم عبد الهادي، وأصدر قراراً بالإفراج تباعاً عن ضباط المدفعيَّة، وعقد مؤتمراً صحفيّاً علميّاً قال فيه : " لاشك أنكم قد اطلعتم على القرارات أمس في سبيل إقامة حياة دستورية ديمقراطية سليمة في مصر ويسعدني بهذه المناسبة أن أعبِّر لكم عن اغتباطي لهذه الخطوات التي أمكن اتخاذها حتى الآن والتي فتحت الطريق أمام الأمة للوصول إلى حياتها الدستورية الكاملة، ولاشك أنكم تعلمون أن كفاح الأمة في سبيل الدستور والحياة الديمقراطية السليمة قديم لم ينقطع . ولقد كان الوصول إلى الحياة الدستورية الكاملة – ومازال – سياستي التي ظللت أعمل لها في الفترات الماضية ولم أغفل عنها يوماً واحداً مني بأن اشتراك الشعب في أمور بلاده هو الضمان الوحيد ضد كل طغيان " [٢]

وقال نجيب في مؤتمر صحفي عالمي آخر : " إن الحياة النيابية ستعود قريباً وإن الجمعية التأسيسية ستنعقد في ٢٣ يوليو ١٩٥٤ وإن الأحكام العرفية ستلغى تماماً في ١٨ يوليو سنة ١٩٥٤ وربما قبل هذا التاريخ، وأنه سيتم الإفراج عن جميع المعتقلين إلا من ثبت إدانتهم " [٣]

وقد وجَّه نجيب نقداً إلى الصحف التي دأبت على نشر أخبار الريبة والشكوك في نوايا رجال الثورة . فقد هاجمت بعض الصحف والمجلات، مثل مجلة " الجمهور المصري " سلوك ضباط البوليس الحربي، وفضحتهم، الأمر الذي أثار الخوف في نفوس بعض الضباط، وأحسوا أن عودة الديمقراطية تعني نهايتهم، أو محاسبتهم على ما ارتكبوه من جرائم ومخالفات، إلى جانب فقدانهم النفوذ والسلطان . [٤]

---

(1) محمد نجيب " منت رئيساً لمصر " مرجع سابق ص ٢٤٢ .
(2) نفسه ص ٢٣٩ .
(3) نفسه ص ٢٣٩ .
(4) نفسه ص ٢٤٠ .

وسعد الناس بهذه القرارات وتغنت الصحافة بالحرية، وعاد بعض الكتاب الذين تركوها في ظلِّ الرقابة التي كانت مفروضة قبل ٥ مارس واستبشر الناس بنظام السيادة فيه للقانون والحكم فيه للشعب .

مؤامرة عبد الناصر على قرارات ٥ مارس

لم يكن عبد الناصر ممن يستسلمون للهزيمة فقد شقَّ عليه بعد كل ما قام به في سبيل الوصول للسلطة أن تبدِّد مظاهرات الجماهير المؤيدة لنجيب أحلامه، وتجيء قرارات ٥ مارس لتجهز عليها فمن المستحيل ،كما سبق أن ذكرنا، أن يصل عبد الناصر لحكم مصر عن طريق انتخابات ديمقراطية حرَّة وفي مصر عشرات من رجال السياسة الكبار الذين لهم تاريخ طويل في النضال الوطني وخبرة كبيرة في السياسة والحكم وإدارة شئون البلاد بالإضافة إلى محمد نجيب الذي يقول عنه البغدادي : " لا يمكن لأحد أن يقف أمام محمد نجيب في انتخابات الرئاسة الآن " [١]

ولكن عبد الناصر ما زالت معه أوراق يمكن أن يلعب بها : معه كثير من أعضاء مجلس قيادة الثورة، والقائد العام للجيش عبد الحكيم عامر، وبعض التنظيمات السرية في الجيش، والمسئولون عن هيئة التحرير طعيمة والطحاوي، والمسئول عن مديرية التحرير مجدي حسنين، ورئيس اتحاد عمال النقل صاوي أحمد صاوي، وصحفيون هيكل وعلى ومصطفى أمين وغيرهم، ومعه رجال المخابرات الأمريكية في مصر، ولديه فوق كل هذا وقبل كلِّ هذا عقليَّة استراتيجية، وطاقة حركيَّة، وعزيمة قوية، ورغبة جامحة في الوصول إلى ما يريد مهما كانت الوسائل .

فما كانت موافقة عبد الناصر على قرارات ٥ مارس إلا مناورة وتكتيك، وليس إيماناً بها واستراتجية، فبدأ عبد الناصر يذيع أن عودة الديمقراطية والأحزاب معناه عودة النظام البائد التي قامت الثورة ضده، ويثير المنتفعين من قيام الثورة مثل أغلبية مجلس الثورة، وضباط الجيش، وصغار الفلاحين والعمال .

يقول البغدادي : " وتقابلت مع جمال عبد الناصر في المطار يوم السبت ٢٠ مارس سنة ١٩٥٤ وسألته عن التصريح الذي نشر له في أخبار اليوم بأننا رجال ثورة ولسنا رجال سياسة وأن هذا يخالف ما كان ينادي به أثناء المناقشات بيننا. فأجابني أنه بعد أن فكَّر في الموضوع وبعد أن زاره عدد من الضباط وسألوه هل قمنا بثورة

([1]) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ١٤٢ .

لنصبح نواباً وسياسيين أم قمنا بها لتحقيق أهداف معينة معروفة؟ ولذلك رأى أن يغير فكره. وطلب منا أن نجتمع معاً قبل الذهاب إلى اجتماع المؤتمر المشترك حتى يمكننا مناقشة الموضوع ثانية. " [١]

وكان جمال عبد الناصر قد بيَّت النية من قبل ذلك على التخلص من نجيب والديمقراطية واضطراره إلى الموافقة على التراجع عن قبول استقالة نجيب وإذاعة قرارات ٥ مارس الديمقراطية ما هو إلا مناورة لامتصاص غضب المؤيدين لنجيب فقط وليس إيماناً بها ويكشف عبد الناصر عن نيته المسبقة للانقلاب على الديمقراطية للبغدادي الذي يقول : " وتكلَّم جمال عبد الناصر مبيناً أن جميع أعداء الثورة والعناصر الرجعية في البلاد ستلتف حول محمد نجيب باذلة كل جهدها للقضاء على هذه الثورة، ولذا فهو يرى: "أن نرضي محمد نجيب الآن وأن نقبل جميع شروطه ونخضع له حتى نفوت عليه الفرصة ونعمل على إقناعه بسحب الاستقالة – وبعد شهر – أي في يوم ٢٣ مارس – نتخلص من محمد نجيب". ومن أنه هو الذي سيقوم بعمل الترتيبات اللازمة لتنفيذ هذا الأمر. [٢]

بدأ عبد الناصر في دراسة الموقف ووضع استراتيجية يستخدم فيها كلَّ ما لديه من إمكانيات وأوراق ووسائل مساعدة ليتخلَّص من محمد نجيب نهائيّاً في خلال شهر، وإليك مراحل هذه الاستراتيجية التي انفرد عبد الناصر بوضعها واستخدم كل أنصاره في تنفيذها :

١- أن تشن الصحف التابعة لعبد الناصر هجوماً على فكرة الانتخابات وعودة الأحزاب، وتبث الأكاذيب والإشاعات، كإشاعة رغبة الملك فاروق في العودة لحكم مصر، ورغبة النحاس باشا ترشيح نفسه رئيساً لمصر .

٢- التهديد بقيام ثورة حمراء إذا عاد رجال العهد البائد إلى الحكم مرة ثانية .

٣- القبض على من حرَّض وشارك في المظاهرات المطالبة بعودة محمد نجيب من السياسيين القدامى والإخوان المسلمين .

٤- فرض الرقابة على الصحف الموالية لمحمد نجيب وللديمقراطية .

٥- القيام بستة تفجيرات لإثارة الذعر بين الناس ليطالبوا بعودة الجيش وقادة الثورة لحمايتهم ويكفروا بالديمقراطية التي تعني الفوضى وغياب الأمن .

٦- إعلان قرارات ٢٥ مارس الداعية إلى إنهاء الثورة وإعادة النظام الملكي القديم .

---

(1) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ١٤٣.
(2) نفسه ص ٩٨ .

٧- استمالة عبد الناصر الإخوان إليه بالإفراج عن حسن الهضيبي مرشد الإخوان وزيارته في بيته ليلة الإفراج عنه، والاتفاق معه على الإفراج عن كل المعتقلين من الإخوان المسلمين، وفي اليوم التالي نشرت جريدة الأخبار الإفراج عن جميع الإخوان المسلمين .

٨- استئناف الإخوان نشاطهم، وإعلان الهضيبي : " إننا الآن أقوى مما كنا" وشنهم هجوماً على الأحزاب وتهديدهم بأنهم لن يسكتوا إذا عادت الأحزاب .

٩- اتهام نجيب بتدبير خطة للثورة المضادة بالاشتراك مع الوفد، ونشر مكالمة بين نجيب والنحاس لإيهام الناس بهذا .

١٠- تحريض ضباط الجيش على الثورة على قرارات ٥ ، ٢٥ مارس الديمقراطية وتهديد محمد نجيب بالقتل .

١١- قيام عمال النقل بإضراب عام لشلِّ حركة الناس وتوقف الحياة .

١٢- تدبير مظاهرات مأجورة للمطالبة بإلغاء قرارات ٥ ، ٢٥ مارس .

١٣- إلغاء قرارات ٥ ، ٢٥ مارس ومرض محمد نجيب وعزله فعليَّاً عن الحكم تمهيداً لعزله رسميّاً وتولي عبد الناصر الحكم فعليّاً والتخلص من كلِّ مؤيدي محمد نجيب .

١٤- اكتشاف كثير من أعضاء مجلس الثورة الذين أيدوا عبد الناصر في التخلص من نجيب رغبة عبد الناصر في الاستئثار بالحكم دونهم وأن كل ما فعله وساعدوه فيه كان من أجل مصلحته الخاصة .

لا تسارع عزيزي القارئ بتكذيب هذا المخطط أو التشكيك فيه قبل أن تقرأ الأدلة القاطعة على صحته .

صحفيو عبد الناصر يثيرون الفوضى ويشيعون الفتن

راح صحفيو عبد الناصر يثيرون الفوضى بين الناس بما ينشرونه من زيف لتمزيق الأمة فنشرت جريدة أخبار اليوم، الناطقة باسم جمال عبد الناصر[1] رغبةً في الإثارة وتهييج الجماهير، خبر ترشيح النحاس نفسه لرئاسة الجمهورية، ، ولكن سارعت

([1]) كان مصطفى وعلي أمين مؤسسا جريدة الأخبار من أنصار جمال عبد الناصر وإحدى قنوات اتصالاته بالأمريكان من خلف ظهر محمد نجيب كما كان محمد حسنين هيكل تلميذهما والصحفي في نفس الجريدة والذي أوقف نفسه لخدمة عبد الناصر والدعاية له قناة أخرى من قنوات اتصاله بالأمريكان . راجع كتابنا "أمريكا وعبد الناصر ، من التحالف إلى العداء " دار زهور المعرفة والبركة .

جريدة الوفد بتكذيب هذا الخبر ونزع فتيل الفتنة بين المؤيدين والمعارضين لترشيح النحاس .

كما نشرت جريدة الجمهورية، التي يرأس تحريرها أنور السادات أحد المقربين من عبد الناصر والمؤيدين له ضد نجيب، رغبة الملك فاروق في العودة لحكم مصر؛ لتوحي للناس أنه إذا كانت ثمة ثورة على الفساد والاستبداد والظلم فقد انتهت وستعود الأمور إلى ما كانت عليه في العهد البائد، وكان هذا الخبر عارٍ من الصحة بل هو محض افتراء، والذي دعا صلاح سالم وزير الإرشاد لاختلاقه هو رغبته في القبض على من أيدوا نجيب وتظاهروا لإعادته من السياسيين القدامى والإخوان المسلمين، وقد حكم على كثير من الأبرياء بسبب هذا الادعاء الذي لفَّقه صلاح سالم دون أن يأخذ رأي أعضاء مجلس الثورة، وكان موقفهم في غاية الحرج بعدما اكتشفوا كذب ادعاء صلاح سالم .

وراح عبد الناصر وأعوانه يثيرون الناس بدلاً من تهدئة الأمور وتهيئة المناخ لقيام حياة ديمقراطية سليمة فقام صلاح سالم، أحد أنصار عبد الناصر بسكب البنزين على النار وخطب يوم ١٣ مارس ٥٤ ينذر بثورة حمراء إذا فكَّر أحد من العهد القديم في العودة للحكم. " إننا ننذر الطغيان والطغاة أن يفكروا قبل السطو على حقوق الشعب بأنها لن تكون ثورة بيضاء بل ستكون ثورة حمراء " [١]

ولم يكتف عبد الناصر ومؤيدوه بتحذير صحفهم الناس من عودة الأحزاب والحكم الديمقراطي، والدعوة إلى الحكم العسكري بل فرضوا الرقابة على جريدة القاهرة المؤيدة لمحمد نجيب والديمقراطية وهدَّدوا بقية الصحف التي تسير في نفس الاتجاه بفرض الرقابة عليها وكانت الرقابة قد رفعت بموجب قرارات ٥ مارس ١٩٥٤ "وبدأ عدد من الكتَّاب يتهمون الصاغ صلاح سالم بأنه يهدِّد الصحافة والصحفيين، وأن فرض الرقابة على جريدة القاهرة يُعَدُّ هدماً لقرارات ٥ مارس " [٢]

([1]) نقلاً عن كرم شلبي " عشرون يوما هزت مصر دراسة ووثائق في أزمة مارس" ص ٢٥ .
([2]) نفسه ص ٢٦ .

وبعد أن تفاءل الناس بعودة الأحزاب والحريات وإقرار الدستور الذي تعده لجنة الخمسين وانتخاب الرئيس الذي يرعى مصالحهم ومجلس الأمة الذي يلبي مطالبهم اضطربت الأحوال وكثر القيل والقال بل كثرت الإضرابات والاعتصامات .

يقول محمد نجيب: "هذا المناخ الذي تمنينا أن يدوم، والذي لم نعرفه سوى أيام، سرعان ما تلبَّد بالغيوم، وبدأت الأمور تتردى مرة أخرى. أضربت بعض النساء واعتصمن في مبنى نقابة الصحفيين، ورفضن الطعام والشراب حتى الموت، وهاجمت جريدة الأخبار فكرة الانتخابات وحذرت من عودة الأحزاب، واحتج مجلس نقابة الصحفيين على عودة الرقابة على جريدة القاهرة بقرار من صلاح سالم. " [١]

عبد الناصر والتفجيرات الستة التي ضربت القاهرة

في يوم ١٩ مارس وقعت ستة انفجارات في أماكن متفرقة من القاهرة ولم يُقبض على الفاعل مما أوحى للناس أن طريق الديمقراطية محفوف بالمخاطر وينذر بالفوضى وفقدان الأمن الذي هو الأولية للمواطنين مما أفقد الكثير منهم حماسه للديمقراطية ولقرارات ٥ مارس الداعية إليها .

يقول البغدادي في مذكراته : " وفي اجتماع ٢٠ مارس ١٩٥٤ أشار جمال إلى أن هناك ستة انفجارات قد حدثت في نفس اليوم وكلها في وقت واحد وفي أمكان متفرقة. واحد منها في مبنى محطة السكة الحديد، واثنان بالجامعة، وآخر بمحل جروبي. وكان غرضه من الإشارة إلى هذه الانفجارات هو توضيح أن هذا قد حدث نتيجة لسياسة اللين والميوعة الظاهرة في موقف الحكومة. وكان محمد نجيب مُصرّاً على اتخاذ الإجراءات العادية معارضاً في اتخاذ أية إجراءات استثنائية. [٢]

ولكن من هذا المجرم الجبان الذي قام بترويع الناس وزعزعة أمنهم وأمانهم وخوَّفهم من الديمقراطية التي طالما طالبوا بها وتحرَّقوا شوقاً لها وضحُّوا في سبيلها بالنفس والنفيس .

يقول البغدادي : " وفي يوم الأحد ٢١ مارس وبعد أن تمَّ استعراض الجيش بمناسبة زيارة الملك سعود ذهبت مع كمال الدين حسين وحسن إبراهيم لزيارة جمال عبد

---

(1) محمد نجيب " منت رئيساً لمصر " مرجع سابق ص ٢٤٢ .
(2) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ١٤٤ .

الناصر بالمنزل لمرضه. فأبلغنا أن الانفجارات التي كانت قد حدثت في اليوم السابق وأشار إليها في اجتماع المؤتمر، إنما هي من تدبيره لأنه كان يرغب في إثارة البلبلة في نفوس الناس ويجعلها تشعر بعدم الأمن والطمأنينة على نفوسهم وحتى يتذكروا الماضي أيام نسف السينمات... الخ. وليشعروا بأنهم في حاجة إلى من يحميهم على حد قوله." (١)

وأترك للقارئ العزيز حرية تحليل ما قام به عبد الناصر والتعليق عليه .

عبد الناصر يطلب من نجيب أن ينازل له عن السلطة

أراد عبد الناصر أن يجني ثمرة ما خطط له ونفَّذه من استِشْراء الفوضى بعد قرارات ٥ مارس، وفقدان الناس إحساسهم بالأمن بعد انفجارات ١٩ مارس فعرض على نجيب أن يسلِّم له سلطة حكم البلاد كاملة وهو كفيل بأن يعيد الاستقرار والأمن للبلاد في يوم واحد، وهو بهذا يؤكد أنه كان وراء ما جرى فهو الذي أحضر العفريت، وهو القادر على صرفه كما نقول في أمثالنا العامية : " اللِّى يحَضَّر العَفْريت يِصْرِفه " ولكن محمد نجيب رفض هذا الاقتراح لأنه إن استجاب له سيكون قد استبدل الديكتاتورية التي يكرهها الناس بالديمقراطية التي يتطلعون إليها وقد وعدهم نجيب بها، ولكن عبد الناصر ادَّعى أن المطالبين بالديمقراطية أقلية وأنه كفيل بهم لو ترك له الأمر، ولكن محمد نجيب أصرَّ على الرفض .

يقول البغدادي : " تقابلت مع كمال الدين حسين في اجتماع مجلس الوزراء يوم ٢٤ مارس وأبلغني أنه كان قد حضر مقابلة جمال عبد الناصر وعبد الحكيم لمحمد نجيب في صباح نفس اليوم. وأن جمال عبد الناصر قال لمحمد نجيب "اترك لنا البلد ونحن نلمها في ٢٤ ساعة ونمشي بها كما كنا في الماضي". ولكن محمد نجيب رد عليه بأن البلد تريد الحياة النيابية، ومن أنه قد أعلن عن قيام الجمعية التأسيسية. فأجابه جمال بأن الذين يطلبون بذلك قلة وطلب منه أن يترك لنا الرجوع في هذا القرار وإذا فشلنا فيمكنه أن يحاكمنا على أننا قد خنا مبادئنا. ولكن محمد نجيب قال: طيب أنا سأسافر شهرين للخارج بحجة أني ذاهب للعلاج وافعلوا ما تشاءون. فبين له جمال أن سفره في هذه الظروف معناه إنهاء الثورة. فقال له محمد نجيب "سأترك لك منصب رئيس الوزراء وسأحتفظ برئاسة الجمهورية". ووافقه جمال على اقتراحه هذا

---

(1) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ١٤٦ .

ولكن محمد نجيب عاد وقال "هذا يصبح هدم لي أنا". ويقول كمال إن الحديث قد استمر على هذا المنوال ما يقرب من أربع ساعات دون إمكان إقناعه أو الاتفاق معه. (١)

هدف قرارات ٢٥ مارس تطبيق الديمقراطية أم التحريض عليها ؟

لما ييأس عبد الناصر من إقناع نجيب بتسليم السلطة له لذا دبَّر أمراً في غاية الدهاء وهو أن يخيِّر الناس بين تطبيق الديمقراطية التي تعيد العهد البائد بكل ما اشتمل عليه من فساد ومظالم، وبين بقاء الثورة وما حققته وما تعد به من منجزات، وليس ثمَّة اختيار ثالث، وفي الحقيقة كان هناك اختيار ثالث يجمع بين مميزات الاختيارين الأولين ويتجنَّب عيوبهما، وهو تطبيق الثورة الديمقراطية التي تضمن إتمام الدستور على أكمل وجه هذا الدستور الذي يفصل بين السلطات الثلاث : التشريعية، والقضائية، والتنفيذية، ويكفل ألا تجور سلطة على الأخرى . هذا الدستور الذي يعطي للشعب حرية اختيار من يمثله في السلطتين : التشريعية والتنفيذية، ويعطيه حق المراقبة والمحاسبة إلى غير ما هنالك من مميزات الديمقراطية التي عرفتها الشعوب المتقدمة، وهذا لا يتعارض مع مبادئ الثورة الستة التي أعلنتها بعد قيامها بل هو يمثل أحد مبادئها فإذا كان المبدأ الأول هو : القضاء على الإقطاع، والثاني : القضاء على الاستعمار، والثالث : القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم، فإن المبدأ الرابع من مبادئ الثورة المعلنة هو : إقامة حياة ديمقراطية سليمة، بالإضافة إلى المبدأين الأخيرين وهما : إقامة جيش وطني قوي، وإقامة عدالة اجتماعية.

ولكن عبد الناصر أصرَّ على أن يجعل هناك تناقضاً بين الثورة والديمقراطية فإما ثورة، وإما ديمقراطية وهذه هي الخديعة الكبرى التي صاغها في قرارات ٢٥ مارس الديمقراطية وما تلاها من أحداث أجهضتها .

ففي يوم ٢٥ مارس ١٩٥٤ اجتمع مجلس قيادة الثورة، ودارت مناقشات عنيفة، حول الخروج من الأزمة الراهنة وإذا بعبد الناصر يتقدَّم بهذه الاقتراحات التي يقول عنها عبد اللطيف البغدادي : " تقدم جمال عبد الناصر بالاقتراح الآتي :

١- يسمح بقيام الأحزاب.

٢- مجلس الثورة لا يؤلف حزباً.

---

(1) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ١٤٦، ١٤٧ .

٣- لا حرمان من الحقوق السياسية حتى لا يكون هناك تأثير على حرية الانتخابات.

٤- تنتخب الجمعية التأسيسية انتخاباً حراً مباشراً بدون أن يعين أي فرد فيها وتكون لها سلطة السيادة وسلطة البرلمان كاملة.

٥- حل مجلس قيادة الثورة يوم ٢٤ يوليو القادم باعتبار أن الثورة قد انتهت وتسليم البلاد لممثلي الأمة الشرعيين.

٦- تنتخب الجمعية التأسيسية رئيس الجمهورية بمجرد انعقادها.. [١]

وبرغم ما يشتمل عليه اقتراح عبد الناصر من خديعة كبرى اضطر محمد نجيب للموافقة عليها حتى لا يتهم بأنه ضد الديمقراطية التي لا يمل من المناداة بها وكذلك صدَّق على اقتراح عبد الناصر جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة لتصدر قرارات ٢٥ مارس بإجماع الآراء .

عبد الناصر يطلب ود الإخوان

ولكي يتم المخطط كما رسمه عبد الناصر لا بد أن يضمن ولاء جماعة الإخوان له لا لنجيب أو بمعنى أدق يضمن تأييد أحد جناحيها بعدما نجح من قبل ذلك، كما سبق ذكره، في دق الأسافين بين أعضاء الجماعة وتقسيمهم إلى فريقين، وكانت جماعة الإخوان من أهم العوامل المرجحة لمحمد نجيب والمؤيدة لعودته ورفض قبول استقالته، فراح عبد الناصر يخطب ودَّهم فأمر بالإفراج أولاً عن حسن الهضيبي مرشدهم وسعي إليه في منتصف ليل اليوم الذي أفرج عنه فيه، ووعده بالإفراج عن كل الأخوان المسلمين الذين تمَّ اعتقالهم يوم ١٤ يناير ١٩٥٤ يوم حُلَّت جماعتهم، كما وعده بالسماح بإعادة نشاط الجماعة، وحرية حركتها دون حظر أو تضيق، بل إنهم سيكونون شركاءه في الحكم إذا وصل إليه ولن يقطع أمراً إلا بمشورتهم . وكان الإخوان قد سبق أن عرضوا على محمد نجيب سرًّا ما أجابهم عبد الناصر إليه، ولكنَّ نجيب رفض عقد أية صفقات مع أية قوة في السر .

ونفَّذ عبد الناصر ما وعد به الهضيبي على الفور فخرجت جريدة الأخبار التابعة له تحمل خبر الإفراج عن جميع الإخوان المسلمين المعتقلين .

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ١٤٨ .

يقول البغدادي عن اجتماع ٢٩ مارس : " حضر محمد نجيب إلى مكان اجتماعنا وتساءل عن سبب زيارة جمال عبد الناصر للهضيبي الذي أفرج عنه من المعتقل مؤخراً ومستطرداً في حديثه: "هل هي للاتفاق على شيء؟".

فما كان من جمال سالم إلا أن رد عليه في عصبية: "يتفق معاه على إيه؟". فقال محمد نجيب: "إذا كنا سنتكلم بهذه الروح فليس هناك ما يدعو للكلام.". فرد عليه جمال بقوله: "أنا أتكلم زي ما أنا عايز – هو انته بتخوفني ولا إيه؟" [١]

والذي أكَّد مخاوف نجيب قد أثبتته الأيام فأفرج عن جميع الإخوان المعتقلين، وأعيد لهم نشاطهم، وعندما يسقط نجيب في هذه المرة لم يفعلوا شيئاً بإعادته كما فعلوا من قبل بل باعوه واشتروا عبد الناصر، وظلَّ عبد الناصر حليفاً قويّاً لهم فلما أمسك بزمام السلطة بعد أن عصف بنجيب عصف بهم وكان مصيرهم مثل مصير كل القوى والأشخاص التي تحالفت مع عبد الناصر ضد نجيب أن نكَّل بهم لينفرد وحده دون شريك بالحكم .

ودونك هذه الواقعة التي تؤكد تحالف عبد الناصر مع أحد جناحي الإخوان المسلمين، فبعد أن نجح عبد الناصر في إلغاء قرارات ٢٥ مارس، كما سنبين، تظاهر طلاب الجامعة من الإخوان المسلمين الذين يمثلون الجناح الأخر المعارض لعبد الناصر وقرر مجلس قيادة الثورة القبض على كل الطلاب المتظاهرين ولكن عبد الناصر استثنى الإخوان المسلمين رغم أنهم كانوا الداعين إلى التظاهر والمحرِّضين على قتل مجلس قيادة الثورة !!

يقول البغدادي : " وفي يوم الثلاثاء ٣٠ مارس ١٩٥٤ كنت مع كمال الدين حسين بمنزله نناقش الموقف والمشاكل التي تواجهنا وأسلم الطرق إلى حلها – وفي أثناء ذلك تكلم صلاح في التليفون طالباً منا أن نذهب إلى منزل جمال عبد الناصر، ووجدنا هناك زكريا وعبد الحكيم وصلاح غير جمال عبد الناصر –وكانت المناقشة حول موضوع طلبة الجامعة وإثارتهم للشغب ووقوفهم ضد إلغاء قرارات ٢٥ مارس بعد صدور هذا القرار. وأن البعض منهم قد أخذ قراراً وأعلن على الطلبة. وهو قتل أعضاء مجلس قيادة الثورة. وأعلنوا عليهم أيضاً أن لديهم السلاح والإمكانيات الكفيلة بتحقيق هذا الغرض. وكان يقود عمليات المعارضة هذه والشغب طلبة الإخوان

([1]) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ١٥٨ .

المسلمين والشيوعيين والوفديين – وكان جمال عبد الناصر يرى اعتقال هؤلاء الطلبة – دون الطلبة من الإخوان المسلمين، أي قصر الاعتقال على الطلبة الشيوعيين والوفديين فقط –ولكن حدثت معارضة شديدة من أعضاء المجلس الموجودين وذلك لأنه كان معلوماً لكل طلبة الجامعة موقف الطلبة الإخوان وما صدر منهم من قرارات، وأن الذي أعلن تلك القرارات والخاصة بقتل أعضاء مجلس الثورة على الملأ كان طالباً من الإخوان المسلمين وأخيراً وافق جمال على اعتقال هذا الطالب الإخواني فقط مع باقي الطلبة الآخرين من الشيوعيين والوفديين." [١]

اتهام نجيب بتدبير ثورة مضادة مع حزب الوفد

بعد قرارات ٢٥ مارس أفرج عن كل المعتقلين حتى أعضاء جماعة الإخوان، وظنَّ نجيب أنه بالقطع قد تمَّ الإفراج عن النحاس باشا الذي قد سبق تحديد إقامته في بيته وفرض الحراسة عليه اتصل نجيب بالنحاس باشا ليطمئن عليه ويهنئه بالإفراج عنه وإذا به يفاجأ أن النحاس ما زال تحت الحراسة بل إن النحاس أخبره بأن الحراسة قد شددت عليه، فطمأنه محمد نجيب ووعده برفع الحراسة عنه وعودته لممارسة نشاطه، ونشاط حزبه بعد إعادة الأحزاب تمهيداً للانتخابات البرلمانية، وفوجئ محمد نجيب بنشر جريدة أخبار اليوم نص حديثه مع النحاس كاملاً مع تحريف كلام المكالمة عن مواضعه، وراح أنصار عبد الناصر من الصحفيين يتحدثون عن ثورة مضادة يدبرها محمد نجيب مع النحاس باشا ضد الثورة ورجالها مما كان له وقع سيء على نجيب ومؤيديه .

يقول عبد اللطيف البغدادي : " نشر في جريدة أخبار اليوم في نفس يوم السبت ٢٧ مارس حديث تليفوني كان قد جرى بين محمد نجيب ومصطفى باشا النحاس زعيم حزب الوفد. وكان رد فعل هذا الحديث في الرأي العام سيئاً مما أضعف مركز محمد نجيب." [٢]

تحريض عبد الناصر ضباط الجيش على رفض قرارات ٢٥ مارس

وبعد تحالف عبد الناصر مع الأخوان، واتهام نجيب بتدبير ثورة مضادة مع زعيم حزب الوفد، تأتي الخطوة الثالثة في مؤامرة عبد الناصر على محمد نجيب وعلى قرارات ٢٥ مارس والديمقراطية جميعاً، وهي تحريض ضباط الجيش الموالين له عن

---

(1) نفسه ص ١٦٧ ، ١٦٨.
(2) نفسه ص ١٥٦ .

طريق تنظيماته السرية داخل الجيش التي يرعاها عبد الحكيم عامر، وكثير من الضباط غير الموالين لعبد الناصر أفزعتهم هذه القرارات؛ لأنها لن تقضي على سطوتهم ونفوذهم ومكاسبهم التي حققوها فحسب بل إنها ستعرضهم للمحاسبة والمحاكمة على الجرائم التي ارتكبوها في حق الشعب .

يقول عبد اللطيف البغدادي : " وتكلَّم عبد الحكيم عامر وقال: إن الجيش بكامله ثائر ضد قرارات ٢٥ مارس ويطالب بإلغائها. وأنه يخشى إن لم نجد حلاً للموقف بسرعة فلربما يخرج الأمر من أيدينا لأن الجيش ثائر ضد القرارات التي اتخذتها نقابة المحامين والتي طالبت فيها بعودة الضباط إلى صفوف الجيش. وقرأ علينا عبد الحكيم بعضاً من تلك القرارات التي اتخذتها وحدات من الجيش – كما ذكر أيضاً أن الأسطول البحري قد خرج إلى عرض البحر مهدداً بأنه إن لم تلغ هذه القرارات فسيضطر إلى اتخاذ إجراءات عنيفة.

وأكد كمال الدين حسين هذا الموقف من الأسطول البحري لأنه كان بالإسكندرية في اليوم السابق وعلم بها وهو هناك." [١]

عبد الناصر والمظاهرات المأجورة المعادية للديمقراطية

والفصل الأخير والحاسم في المؤامرة على نجيب والديمقراطية يبدأ باتفاق عبد الناصر مع صاوي أحمد صاوي رئيس اتحاد عمال النقل على قيام عمال النقل بالإضراب التام عن العمل وتوقف حركة المواصلات تماماً حتى يعود مجلس قيادة الثورة إلى مباشرة سلطاته مرة ثانية، وتلغى قرارات ٢٥ مارس، ويتزامن هذا الإضراب مع مظاهرات مأجورة تقوم بها هيئة التحرير التنظيم المدني الخاص بعبد الناصر مظاهرات تطالب أيضاً ببقاء مجلس قيادة الثورة وتندد بالديمقراطية والأحزاب وتهتف هتافات موحدة: لا تتخلى عنَّا يا جمال !!

وهذه المؤامرة كاملة الأركان ولا تقبل الطعن فيها فقد اعترف مرتكبوها بالقيام بها بمحض إرادتهم دون ضغط أو إكراه .

يقول عبد اللطيف البغدادي وهو شاهد لا يمكن الطعن في شهادته فقد كان أحد أعضاء مجلس الثورة المؤيدين لعبد الناصر ضد محمد نجيب في أزمة مارس : " وذكرت من ضمن ما ذكرت أيضاً ما كنت قد سمعته عن إعطاء الصاوي محمد الصاوي رئيس نقابة عمال النقل بالقاهرة مبلغ أربع آلاف جنيه تشجيعاً له ليدفع

([1]) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ١٦٠ .

عمال النقل إلى الإضراب بعد أن صدرت قرارات ٢٥ مارس ١٩٥٤ ومنتقداً هذا التصرف. ولكن جمال ذكر أنه أراد بذلك أن يسبق خالد محيي الدين ويوسف منصور صديق لأنهما كانا ينويان عمل نفس الشيء على حد قوله. " [١]

لقد استغل عبد الناصر عدم وجود خالد محيي الدين ويوسف صديق فألقى عليهما هذا الاتهام دون دليل، ولقد ذكر خالد محيي الدين في مذكراته اعتراف عبد الناصر له بتدبيره هذه المؤامرة حيث يقول : " لابد أن أقرر أن عبد الناصر والزملاء في مجلس الثورة كانت لهم أيضاً حساباتهم التي تنطلق أولاً وأساساً من ضرورة احتفاظهم بالسلطة بشكل أو بآخر، ولم تكن قرارات ٥ مارس نابعة إلا من الإحساس بالمأزق، ومحاولة وجود مخرج يكفل لهم الاستمرار، فلما تراكمت المشاكل وتبينت لهم احتمالات نهوض قوى سياسية أخرى لمعارضتهم خشوا من إفلات الزمام من أيديهم، وتراجعوا عن القرارات وانقلبوا إلى النقيض .

إذن أردك عبد الناصر أن خطة ٥ مارس لا يمكن تنفيذها مع استمرار احتفاظه بالسلطة، وبدأ في الالتفاف على الخطة، وترتيب الأمر للاتجاه في مسار مضاد تماماً .

وطول هذه الأيام انهمك عبد الناصر في تنفيذ خطته فحشد أكبر قدر ممكن من ضباط الجيش حوله، وبالتحديد حشدهم حولهم على أساس رفض الديمقراطية، وأنها ستؤدي للقضاء على الثورة، وبدأ عن طريق طعيمة والطحاوي في ترتيب اتصالات بقيادة عمال النقل العام لترتيب الإضراب الشهير .

ولك ، عزيزي القارئ ، أن تتصور إضراباً لعمال النقل تسانده الدولة، وتحرِّض عليه وتنظمه وتموِّله .

وأتوقف تحديداً أمام كلمة " تموِّله " هذه فلقد سرت أقاويل كثيرة حول هذا الموضوع، لكنني سأورد هنا ما سمعته من عبد الناصر بنفسي، فعند عودتي من المنفى التقيت مع عبد الناصر، وبدأ يحكي لي ما خفي عني من أحداث أيام مارس الأخيرة، وقال بصراحة نادرة : لما لقيت المسألة مش نافعة قررت أتحرك، وكلفني الأمر أربعة آلاف جنيه ". [٢]

([1]) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ١٨١ .
([2]) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٢٩٧ ، ٢٩٨.

أما يوسف صديق الذي اتهمه عبد الناصر بالتحريض على قيام مظاهرات ضده فإنه قد استقال احتجاجاً على محاكمة ضباط المدفعية، ورفض المجلس إعلان استقالته، وأجبروه على الرحيل إلى سويسرا في مارس ١٩٥٣ أي قبل المظاهرات المأجورة بأكثر من عام، وصدق المثل الذي يقول : " إن كنت كذوباً فكن ذَكُوراً " أي إذا كنت كثير الكذب فعليك أن تكون شديد الحذر والتذكر حتى لا تناقض أكاذيبك بعضها البعض .

ويؤكد عبد اللطيف بغدادي كذب عبد الناصر وصدق خالد محيي الدين فيقول: " اعتكف عبد الناصر في منزله وبدأت الأزمة تنفجر وتوقفت الحياة تماماً في مدينة القاهرة يوم ٢٧ مارس بعد أن قام عمال النقل بإضرابهم مطالبين استمرار مجلس قيادة الثورة في مباشرة سلطاته وعدم السماح بقيام أحزاب، ومعارضة إجراء أي انتخابات حتى يتم جلاء المستعمر، كما قامت مظاهرات صاخبة تعترض على تلك القرارات وتطالب ببقاء المجلس، وكانت تهتف هتافات موحدة: لا تتخلى عنَّا يا جمال .. إلى القتال يا جمال .. لا حزبية ولا انتخابات.

واستمرَّت الفوضى تعم البلاد ثلاثة أيام وكان آخر ما قام به المتظاهرون هو الهجوم على مبنى مجلس الدولة والاعتداء على الدكتور عبد الرزاق السنهوري رئيس المجلس على أساس أنه هو الذي أعد قرارات إجراء الانتخابات وتشكيل الجمعية التأسيسية وسيتولى رئاسة الوزراء ، وفي ٢٩ مارس اجتمع مجلس الثورة وقرر العدول عن قراراته السابقة، والبقاء في الحكم حتى يتم الجلاء .

وانتصر عبد الناصر على نجيب في هذه المرة، وكان ثمن انتصاره ٤ آلاف جنيه دفعها إلى صاوي أحمد صاوي رئيس اتحاد عمال النقل ". [١]

وفي كتابه " شهادة حق " يعترف أحمد طعيمة بالأربعة آلاف جنيه التي أخذها من عبد الناصر فيقول: " عاد عبد الناصر وعرض إرسال خمسة آلاف جنيه لشراء يفط واستئجار سيارات أو أية لوازم أخرى فقلت له لا مانع وسأرسل منها ألفين جنيه إلى الليثي عبد الناصر (أخو جمال عبد الناصر) في الإسكندرية لتغطية الإسكندرية وسأحتفظ بالثلاثة آلاف جنيه الأخرى، وفعلاً أرسلت ألفين جنيه إلى الليثي عبد الناصر وأنفقت ألفين جنيه فقط وأخطرت عبد الناصر بأنه لا يزال معي ألف جنيه

([1]) سامي جوهر " الصامتون يتكلمون " مرجع سابق ص ٢٦ .

أخرى لتصبح جملة ما أنفقت أربعة آلاف جنيه وهي التي ذكرها جمال عبد الناصر في سياق حديثة مع عبد اللطيف البغدادي وخالد محيي الدين . " [١]

ووفقاً للقاعدة الأصولية التي تقرِّر : " إن الاعتراف سيد الأدلة " إذا تمَّ دون تهديد أو إكراه فليس لأحد أن يشكك في هذه المؤامرة تامة الأركان وللأمانة فإن الناصريين أنفسهم يؤكدون هذه المؤامرة يقول أحمد حمروش : " كان عبد الناصر قد اتَّفق مع بعض العناصر الموالية له والتي تخشى إن انتهت الثورة أن يقدموا للمحاكمة من أمثال إبراهيم الطحاوي سكرتير مساعد هيئة التحرير، والصاوي أحمد الصاوي سكرتير عمال النقل وغيرهما، اتفق عبد الناصر معهم وأمدهم بالمال لإحداث ثورة مضادة لقرارات ٢٥ مارس وتمت المؤامرة ". [٢]

أرأيتم إجراماً في حق الوطن أكبر من هذا ؟

أرأيتم مؤامرة للقضاء على الحرية والديمقراطية أحقر من هذه ؟

تصور معي، عزيزي القارئ، أن قرارات ٢٥ مارس ١٩٥٤ قد طُبِّقت وأصبح في مصر حياة ديمقراطية حقيقية. كم كانت ستكسب مصر، والعالم العربي ؟

لقد ظلَّ شعب مصر نحو ستين عاماً يحارب من أجل تحقيق الحد الأدنى للديمقراطية والحرية والانتخابات النزيهة، والعدالة الاجتماعية . ولم يظفر منها إلا بالنزر اليسير حتى قامت ثورتي: ٢٥ يناير، ٣٠ يونيو لتقضي على الدكتاتورية والاستئثار بالحكم .

يقول تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس ١٢] أي نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم : آثار الخير، وآثار الشر، التي كانوا هم السبب في إيجادها، في حال حياتهم، وبعد وفاتهم وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم، وأحوالهم .

يقول النبي ﷺ : " مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا، بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا، بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ " (حديث صحيح رواه مسلم وغيره)

([1]) أحمد طعيمة " شاهد حق ، صراع السلطة – عبد الناصر – عامر – السادات ص ٨١.
([2]) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " ج١ مرجع سابق ص ٣٥٢.

فكم يتحمل عبد الناصر من أوزار من جراء تآمره على الديمقراطية، وسَنِّه الدكتاتورية ؟

إهانة نجيب أمام الملك سعود وتهديده بالقتل

ولم يكتف عبد الناصر وأنصاره بتدبير مؤامرة إضرار عمال النقل والمظاهرات المأجورة إنما بل قاموا بإهانة محمد نجيب في وجود الملك سعود الذي كان ضيفاً على مصر في أثناء أزمة مارس وهو ما يفسر لماذا صار العداء مستحكماً بعد ذلك بين الملك سعود وعبد الناصر لدرجة أن وصل إلى حرب باردة، تحولت إلى حرب عسكرية ساخنة بين مصر والسعودية على أرض اليمن . [١]

يقول البغدادي : " كما أن عمال النقل المشترك بالقاهرة قد أضربوا في نفس اليوم أيضاً. وقامت مظاهرات من الطلبة والعمال تهتف ضد عودة الأحزاب وضد قيام الانتخابات.

وفي ثاني يوم ٢٨ مارس علمت من جمال عبد الناصر تليفونيّاً في الصباح المبكر أن محمد نجيب عندما وصل إلى المطار بالقاهرة في اليوم السابق عائداً من الإسكندرية مع الملك سعود فقد ذهب إليه الضابط أحمد شوقي – الذي كان قد أحيل إلى المعاش منذ فترة بسيطة وهو متعاطفاً معه وأبلغه بثورة ضباط الجيش ضد القرارات التي أعلنت أخيراً. وأفهمه أن الضباط ينوون قتله – أي قتل محمد نجيب – وقتله هو كذلك. وبعد أن وصل محمد نجيب إلى منزله قام وذهب إلى الملك سعود وأبلغه بما سمعه. وطلب منه أن يصحبه إلى السعودية عند سفره يوم الاثنين ٢٩ مارس. واتصل الملك سعود بجمال عبد الناصر وطلب منه أن يذهب إليه – فاصطحب جمال معه عبد الحكيم وتناقشا مع الملك في موضوع الخلاف بين محمد نجيب ومجلس الثورة. ويقول جمال إنهما هاجما محمد نجيب بشدة أمام الملك سعود، وكان محمد نجيب يقول لهما باللغة الإنجليزية : لا تعاملونني هذه المعاملة أمامه. " [٢]

([1]) لمزيد من التفاصيل حول حرب اليمن وأطراف الصراع فيها راجع كتابنا " انجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي " دار زهور المعرفة والبركة .

([2]) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ١٥٦ .

إلغاء قرارات ٢٥ مارس

بعد أن تمَّت المؤامرة قرر مجلس قيادة الثورة إلغاء قرارات ٢٥ مارس وإليك ما دونه البغدادي بخصوص إلغاء هذه القرارات : " عبد الحكيم فقد اقترح إلغاء قرارات ٢٥ مارس أو تأجيل تنفيذها حتى نهاية فترة الانتقال. واتخاذ إجراءات استثنائية حتى يمكن للثورة أن تسير لتحقيق أهدافها.

ثم دارت المناقشة بين الجميع عن الطريقة والوسيلة لتنفيذ هذا. ثم أخذت الأصوات على مبدأ الإلغاء لتلك القرارات التي صدرت يوم ٢٥ مارس أو تأجيل تنفيذها. فوافقت الأغلبية على مبدأ الإلغاء وأخذت الأصوات أيضاً على تأجيل النظر في الوسيلة أو طريقة التنفيذ لثاني يوم – ووافق عليها الأغلبية أيضاً – أما الدكتور عباس عمار والدكتور عباس عمار والدكتور علي الجريتلي فكان رأيهما أن نتمسك بتلك القرارات. واتفق كذلك على إعادة الرقابة على الصحف. وعلى أن تبدأ من اليوم التالي لهذا القرار – أي يوم ٢٩ مارس ١٩٥٤. " [١]

محاولة تهرُّب محمد نجيب من التصديق على إلغاء قرارات ٢٥ مارس

بعد أن تمَّت المؤامرة قرر مجلس قيادة الثورة الاجتماع يوم ٢٩ لاتخاذ قرار إلغاء قرارات ٢٥ مارس حاول محمد نجيب أن يتهرَّب من هذا الاجتماع الذي سيتخذ فيه قرار إلغاء الديمقراطية وإقرار الديكتاتورية كنظام حكم ستنهجه الثورة، لدرجة أنه انهار وبكى، وأصابه ما يشبه مس من الجنون، ولكن هذا كله لم يثن عبد الناصر ومؤيديه عن السير في طريق الاستئثار بالحكم والإطاحة بنجيب وبالديمقراطية التي ينادي بها .

ودونك ما ذكره البغدادي : " كان الملك سعود سيغادر أرض مصر صباح هذا اليوم (٢٩ مارس) أيضاً. وبعد أن تمَّ توديع الملك بالمطار تحركت طائرته – تحامل محمد نجيب على أحد الضباط الطيارين عندما هممنا بالانصراف وأشار إلى أنه سيغمى عليه فأدخل إلى مكتب قائد المطار. وحضر الأطباء للكشف عليه وقيل إنه إجهاد. ولكن البعض منا كان يعتقد أنها ما هي إلا تمثيلية ليتهرب من الاجتماع الذي كان سيعقد في نفس اليوم لاتخاذ القرارات المنفذة لإلغاء قرارات ٢٥ مارس السابقة. أو

([1]) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ١٦٣ .

أنه يرغب في أن يستدر عطف الشعب عليه – خاصة أنه كان قد أخذ يبكي وبصوت مرتفع مردداً: البلد حتروح في كارثة الانقسام – يا رب بتعذبني ليه – موتني – انفضحت يا محمد نجيب – حاكموني – أي حل – وأنا موافق على رأي الأغلبية – واعتقدت أنها حالة انهيار عصبي. وقد حاولنا تهدئته. ورأينا أن ينقل فوراً إلى منزله. وعلى أن يدعى المؤتمر المشترك للانعقاد هناك أيضاً حتى يمكن اتخاذ القرار لإعلانه لأن الأمر كان قد أصبح خطيراً ولا يحتاج إلى تأجيل خاصة أن المظاهرات والإضرابات كانت قد عمت البلاد وأصبحت كل المواصلات معطلة بعد إضراب عمال السكك الحديدية بالإضافة إلى عمال النقل العام. [1]

وهكذا اتُّخِذَ القرار رغم محاولات محمد نجيب المستميتة لتعطيله والآن يقف الجميع أمام الحكم العدل ليحكم بينهم فيما قدموا من أعمال هل رُوعِي فيها إرضاء الله ومصلحة الوطن أم كانت اتباعاً للهوى والشيطان والنفس الأمارة بالسوء ؟

شهادة محمد نجيب حول مؤامرة إلغاء قرارات ٢٥ مارس

يقول محمد نجيب عن مؤامرة إلغاء قرارات ٢٥ مارس : " على أنني رغم كل ذلك كنت لا أزال أشعر أن هناك قنبلة ستنفجر داخل مجلس قيادة الثورة لأنني كنت أعرف جيداً أن أغلبهم كان يشعر أن العد التنازلي له قد بدأ، وأن الأيام الباقية على انتخابات اللجنة التأسيسية هي الأيام الباقية لحياته .

وسرعان ما تحول إحساسي إلى يقين، ولم يطل الانتظار بإحساسي لأراه أمامي واقعاً ، فبعد أيام، وبالضبط في ٢٥ مارس انعقد مجلس الثورة ومنذ اللحظة الأولى التي رأيت فيها وجههم حتى أيقنت أن القنبلة على وشك الانفجار، لا مجاملات، ولا سلامات، ولا ابتسامات، وإنما حدة، وتجهم، وصراحة .

بدأ عبد اللطيف البغدادي الجلسة قائلاً: أنا أقترح إلغاء قرارات ٥ مارس فوراً.

وكان عنده حق في هذه الصراحة ، فقد فشلت كل الأساليب الملتوية، وسقطت كل الأقنعة، ولم يعد أمامهم إلا الكلام بصراحة أو الموت بصراحة .

وقد عرفت بعد ذلك أنه اتصل بزملائه من ضباط الطيران ووجدهم غاضبون على قرارات ٥ مارس، وأيدهم في غضبهم، وطلب منهم الاستعداد لثورة أخرى إذا ما نفذت هذه القرارات .

([1]) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ١٦٤ .

وفي هذه الجلسة قال خالد محيي الدين : أنا أتمسك بهذه القرارات .

وقال جمال عبد الناصر : إن مجلس قيادة الثورة سينتهي عمله في ٢٣ يوليو القادم والأحزاب تعود إلى وضعها القديم .

وكالعادة أيَّده صلاح سالم، ورفض كلام خالد محيي الدين وقال : لا .. كل شيء يجب أن يعود إلى صورته القديمة .

ولم أتدخل في الحوار؛ فقد كنت أشعر أنه حوار يبعدوننا به عن أمور محددة، ومعروفة ، وسبق مناقشتها، وإقرارها . وفي صمت ، ودون تعليق تابعت الحوار.

قال جمال سالم : لو أعدنا الأحزاب سيعود الحزب الشيوعي .

فقال خالد : إنني أطالب بعودة الحياة النيابية والدستور الجديد هو الذي سيحدد الموقف من الحزب الشيوعي .

وقال البغدادي : وسنفرج عن كل المعتقلين .

فقلت : مرحباً بهذا القرار .

وقال أحدهم : ونفرج عن النحاس !

فقلت : هذا حقه لأنه اعتقل ظلماً ؛ فقد أضيف اسمه إلى كشف المعتقلين بعد توقيعي عليه .

فقال آخر : وسنفرج عن الهضيبي وباقي زعماء الإخوان .

وافقت على ذلك .

ولم أدر ساعتها أنني أقع في كمين أو فخ نصبوه ببراعة، وإن كنت أحسست ساعتها أن انتقالهم من معاداة الأحزاب إلى الترحيب بعودتها، ومن اعتقال الزعماء السياسيين إلى الإفراج عنهم مسألة تثير الريبة، وتؤكد أن هناك مؤامرة ما يحيكون نسيجها . لكن ماذا كنت أفعل، وأنا أراهم، رغم عدم ثقتي فيهم يسعون إلى تنفيذ ما كنت أريده .

وانتهى الاجتماع بعد ٥ ساعات .

وأعلن صلاح سالم قرارات ٢٥ مارس ! وكانت :

١- يسمح بقيام الأحزاب .

٢- المجلس لا يؤلف حزباً .

٣- لا حرمان من الحقوق السياسية حتى لا يكون هناك تأثير على الانتخابات .

٤- تنتخب الجمعية التأسيسية انتخاباً حرّاً مباشراً بدون تعيين أي فرد ويكون لها السيادة والسلطة الكاملة، وتكون لها سلطة البرلمان كاملة، والانتخابات حرة.

٥- حل مجلس قيادة الثورة في ٢٤ يوليو المقبل باعتبار الثورة قد انتهت وتسلم البلاد لممثلي الأمة .

٦- تَنْتَخِبُ الجمعيةُ التأسيسيةُ رئيسَ الجمهورية بمجرد انعقادها .

كانت هذه القرارات في ظاهرها ديمقراطية ، وفي باطنها فتنة وتوتر .

فقد أثارت الناس الذين لم يرق لهم أن تعود الأحزاب القديمة، بكل ما توحي من فساد وتاريخ أسود، وبكل ما توحي لهم بنهاية للثورة التي عقدوا عليها كل آمالهم في التطهير والخلاص .

وأثارت هذه القرارات، في نفس الوقت، ضباط الجيش الذين أحسوا أن نصيبهم من النفوذ والسلطة والمميزات الخاصة قد انتهى .

يعني لا الذين كانوا مع الديمقراطية رحبوا بها ولا من كانوا مع الديكتاتورية . ولا أنصار الثورة وافقوا عليها ولا أعداؤها. ولا المدنيون شجَّعوها ولا العسكريون.

كانت هذه القرارات الستة أشد انفجاراً من القنابل الست التي انفجرت منذ أيام . وكنت ساعتها بين نارين : نار أن أرفضها فأتهم بالدكتاتورية، ونار أن أقبلها فأتهم بأنني أنهيت الثورة وقضيت عليها، لم يكن أمامي أي مفر، وضاعف من قلَّة حيلتي، أن الملك سعود كان يزور مصر، وكنت مشغولاً به، وببرنامج زيارته، وكان عبد الناصر وشلته يدبرون للحظة التالية من مؤامرتهم التي اعترف بحبكها وبراعتها .

كانت الخطوة التالية اتهامي بأنني أدبِّر خطة للثورة المضادة بيني وبين الوفد ، ونشرت الصحف أن هناك اتصالات سريَّة تجري بيني وبين الوفد وهذا لم يحدث بالطبع، كل الذي حدث هو أنني صباح اليوم التالي لصدور هذه القرارات طلبت النحاس باشا تليفونيّاً وسألته : هل أنت راضٍ الآن ؟ فقال الرجل : راضٍ على أية حال ؟ أنتم أفرجتم عن كل الناس، وضاعفتم الحراسة عليَّ ! فقلت : إن شاء الله سيزول كل هذا العناء !

وفهمت ما حدث ضاعف رجال الثورة القيود على رجال الأحزاب حتى يشككوا في صدق القرارات، فلا يؤيدونها، فأفقد حتى القوة الوحيدة الباقية التي لها مصلحة في مساندتي .

وسجَّلت أجهزة المخابرات بأمر زكريا محيي الدين المكالمة ، وحوَّلت على الفور من مكالمة شخصية إلى مكالمة سريَّة، ومن السؤال عن النحاس إلى مؤامرة مع الوفد . ودفعت المخابرات بنص المكالمة إلى جريدة " الأخبار " التي تساند عبد الناصر بكلِّ قوتها . ورغم ذلك لم يفرج عن النحاس، ولم يفرج عن أحمد حسين، ولا عن رشاد مهنا، لبنما أفرج عن حسن الهضيبي، الذي اتصلت به فقالوا لي : في الحمام ! وبعد الإفراج عن الهصيبي ذهب جمال عبد الناصر، لزيارته في منزله، في منتصف الليل، وفي صباح اليوم التالي نشرت الصحف: أنه تقرر الإفراج عن جميع الإخوان. وأن الإخوان استأنفوا نشاطهم وعقدوا اجتماعهم مع المرشد العام لجماعتهم، وأعلن الهضيبي : إننا الآن أقوى مما كنا ! ووقع الأخوان في الفخ الذي نصبه لهم جمال عبد الناصر؛ فقد كان الإخوان هم القوة المرجِّحة لفوز إحدى القوتين المتنازعين في هذه المرحلة : قوتي ، وقوة عبد الناصر، وكان على عبد الناصر أن يستميلهم إلى جانبه، فإذا ما كسب معركته معي، وسيطر على الحكم استدار عليهم، وتخلَّص منهم، وهذا ما حدث فعلاً . اشتراهم عبد الناصر ليبيعني، ثمَّ باعهم واشترى السلطة المطلقة . إن خطأ الإخوان في هذا الموقف كان خطأً استراتيجيّاً؛ لأنهم تصوروا أن القضاء على الأحزاب كان لصالحهم، بحيث يصبحون الحزب الوحيد، والقوة الوحيدة، ولم يتداركوا ببساطة حكاية العصا الوحيدة التي يمكن كسرها، ومجموعة العصي التي لا يمكن كسرها معاً والتي كنا نسمعها ونحن صغار، ولا نزال نرويها لصغارنا إلى الآن.

والدليل على ذلك، أنهم انتهوا إلى السجن والتعذيب والتشريد عندما وصل عبد الناصر إلى الحكم، بينما كان موقفهم في تلك الفترة، ضد الأحزاب، وضد تعدد الآراء، حتى أن أحد قادتهم قال للصحف يوم ٢٧ مارس : فيما يختص بعودة الأحزاب السياسية أملنا ألا يعود الفساد أدراجه مرة أخرى، لأننا لن نسكت على هذا الفساد بل ونؤيد الشعب، ولن نطلب تأليف أحزاب سياسية لسبب بسيط هو أننا ندعو المصريين جميعاً لأن يسيروا وراءنا ويقتفوا أثرنا في قضية الإسلام " .. وقد سبق أن حاول الإخوان إقناعي بمثل هذا الكلام، لكني رفضت. كان ذلك في ديسمبر ١٩٥٣ .. إنني بمنتهى الصراحة لم أتصور أن يغير الإخوان موقفهم ويؤيدوا جمال عبد الناصر. ومع ذلك كان ما فعله عبد الناصر، هو أهم ضربة سياسية في حياته ، ولولاها ما وصل إلى الحكم . [١]

موقف محمد نجيب من المؤامرة عندما علم بها

([1]) محمد نجيب " منت رئيساً لمصر " مرجع سابق ص ٢٤٩ – ٢٥٣.

علم نجيب بالمؤامرة التي دبَّرها عبد الناصر وساعده فيها رئيس اتحاد عمال النقل والمسئولون عن هيئة التحرير ومديرية التحرير، ولكنه رفض أن يستخدم سلاح الخسة الذي استخدموه ضده .

يقول محمد نجيب : " وفي ليلة ٢٧ مارس بالضبط في الساعة الثانية بعد منتصف الليل أيقظوني من النوم ؛ لأجد أمامي في حجرة نومي محمد رياض (قائد الحرس الخاص بمحمد نجيب) يعتذر عن هذا الاقتحام .

قلت له : إيه يا محمد في إيه يا محمد ؟

قال : أنا آسف يا فندم ، لكن فيه معلومات مهمة لازم أبلغها لسيادتك، أنا علمت يافندم من مصادر قوية الثقة أن هناك مظاهرات ستقوم في الصباح وستهتف بسقوط الأحزاب والديمقراطية، وسيقوم بها عمال النقل، الذين اتفق معهم أحمد طعيمة (أحد المشرفين على هيئة التحرير) وسيدعمهم على الفور قوات الحرس الوطني، الذين سيرتدون ملابساً مدنية ستوزع عليهم، وهناك احتمال أن يأتي عمال من مديرية التحرير إلى القاهرة بعد أن اتفق الصاغ مجدي حسنين على ذلك .

وقبل أن ينتهي رياض من كلامه، كنت قد أدركت أن مجلس الثورة أراد إحراق البلد، وإحراق الديمقراطية، وإحراق قرارات ٥ و ٢٥ مارس أيضاً، وطلبت ساعتها زكريا محيي الدين (وزير الداخلية حينئذ) في التليفون وقلت له : أنتم تلعبون بالنار يا زكريا، والنار ستحرقكم قبل أن تحرق أي شيء آخر، وعليكم أن تتحملوا نتيجة ما تفعلون!

ونفى زكريا علمه بشيء من هذا، واستدعيت وكيل وزارة الداخلية في الفجر، وأمرته أن يفض المظاهرات بالقوة، وأن يمنعها قبل قيامها فطلب مني إذناً بإطلاق النار على المتظاهرين فرفضت تماماً وقلت له : تقطع يدي ولا أوقع أمراً بإطلاق الرصاص على أبناء الشعب .

وأراد رياض أن نعتقل الوزراء وأعضاء مجلس الثورة، وقبل أن أتخذ هذا القرار فكَّرت في أن أناقش خالد محيي الدين، وجاء خالد وقال : أنا أشك في وجود مؤامرة ضد قرارات مارس ولا داعي يا سيدي الرئيس لإجراء مثل هذا التصرف العنيف . نجح خالد في إقناعي باستبعاد هذا القرار .

وانتهيت معه إلى أن اعتقال أعضاء المجلس سيؤدي إلى أمرين كلاهما مُرٌّ : إما أن يُعْتَقَلُوا برجال البوليس فيرفض زكريا محيي الدين، وإما برجال الجيش فتقوم

اشتباكات مسلحة ربما تطورت إلى حرب أهلية، أو دفعت الجيش إلى سلسلة من الانقلابات العسكرية . " [١]

ويرفض محمد نجيب سلاح الخسة الذي استخدمه خصومه في وجهه ويجعل أنصاره يدخلون في صراع مسلح مع أتباع عبد الناصر الذين قابلوه في المحطات يهتفون : " لا للأحزاب .. ولا للبرلمان . " رفض محمد نجيب الانسياق وراء غرائزه حتى لا يحدث صدام مسلح أو حرب أهلية . " [٢]

أزمة مارس صراع على السلطة أم انقلاب على نظام الحكم ؟

يرى بعض الكتَّاب المؤرخين أن أزمة مارس كانت مجرد صراع على السلطة بين عبد الناصر، محمد نجيب، واستطاع عبد الناصر حسم الصراع لصالحة .

يقول حسنين هيكل : " حوادث مارس اللي هي كانت الصراع على السلطة في واقع الأمر فيه أطراف متعددة جدا، مجلس الثورة كان عنده صراع على السلطة مع محمد نجيب.. محمد نجيب كان عنده صراع على السلطة مع مجلس الثورة، الاثنين الطرفين كان عندهم صراعات خفية أو ظاهرة مع المدنيين ومع الإخوان ومع بقية الأحزاب ولما حصل الشقاق أو الفُرقة أو الهُوة بين محمد نجيب ومجلس الثورة كل القوى اللي في خارج هذه الدائرة وجدتها فرصة وهكذا وجدنا ما يمكن أن نسميه وادٍ سحيق وقد تركزت فيه كل مشاكل البلد في لحظة خطيرة جدا من التاريخ وبأعتقد أنا إنه.. وأنا لا أزال فاكر التفاصيل كويس قوي بأعتقد إنه البلد خرجت من أزمة مارس وكل الناس تقريبا فيها طبعا الأزمة حُسمت زي ما كان مبين أمامنا وحُسمت بتدخل واضح وحاسم من جانب جمال عبد الناصر استشعارا لمخاطر خارجية أو أيضا رغبة في إنه يحسم الموضوع لصالحه " [٣]

والحقيقة كما ذكرنا تفاصيلها توضح بجلاء أن أزمة مارس وإرهاصاتها التي بدأت مع بداية عام ١٩٥٤ ما هي إلا صراع عبد الناصر من أجل انتزاع السلطة والاستئثار بها من دون محمد نجيب الذي كان يرى أن الديمقراطية هي السبيل الذي يجب أن تسير فيه الثورة؛ وفاءً بما تعهَّدت به يوم قامت وأيدها الشعب، وعملاً بمبدئها

([1]) محمد نجيب " منت رئيساً لمصر " مرجع سابق ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ بتصرف يسير .
([2]) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " ج١ مرجع سابق ٣٥٣.
([3]) محمد حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ ١٩/١١/ ٢٠٠٦

الرابع ، والدليل كما سنرى في الفصل التالي أن عبد الناصر فور تخلُّصه من نجيب عصف بكل المعارضين وبأغلب المؤيدين له في صراعه مع نجيب لينفرد وحده بحكم مصر ، ويفرض النظام الديكتاتوري المستبد الذي رزحت مصر تحت نيره نحو ستين عاماً هذا ليس كلامي إنما كلام كل المنصفين من المؤرخين والكتاب، ونكتفي هنا بشهادة رجل أجمع كل رجال الثورة على نزاهته وإخلاصه ووطنيته وفي مقدمة هؤلاء جمال عبد الناصر إنه خالد محيي الدين متعه الله بالصحة والعافية .

***